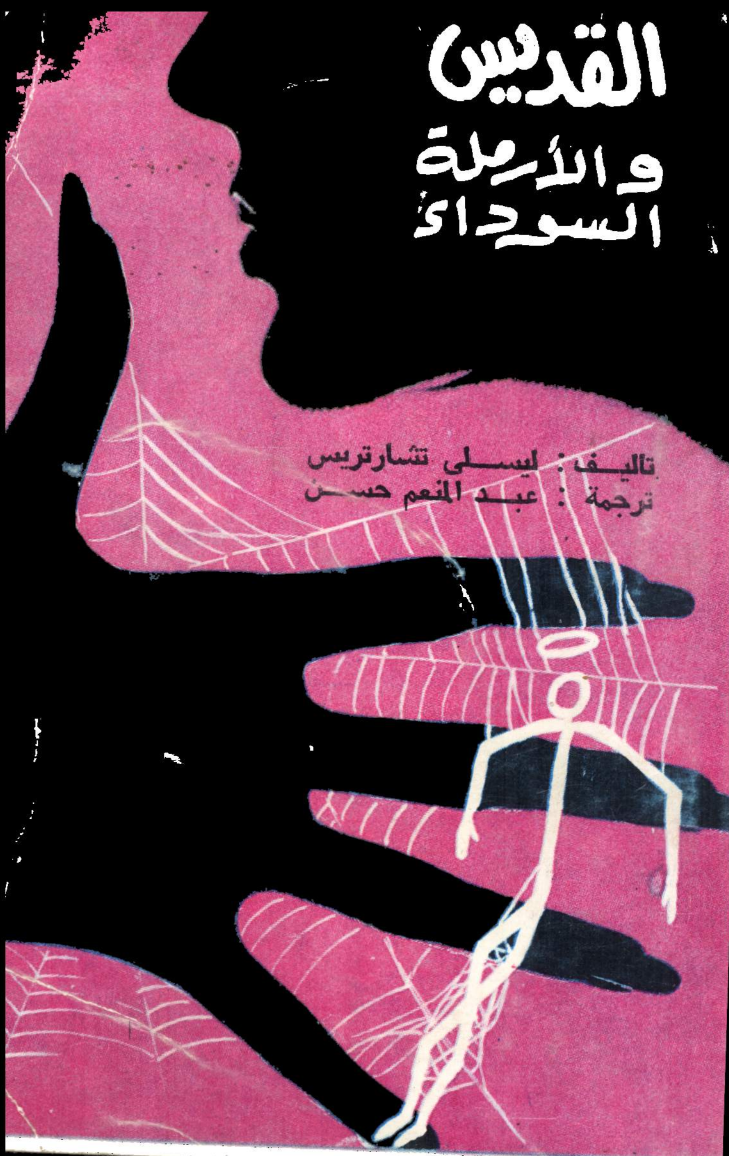
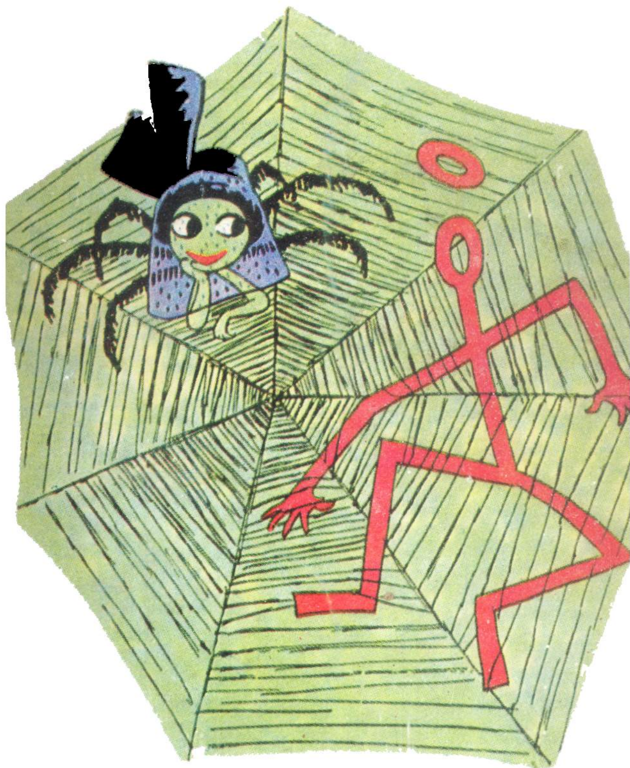

القديس
والأرملة
السوداء
تاليف : ليسلي تشارتريس
ترجمة : عبد المنعم حسن

١٠ قروش
في : ج.ع.م



سُور الأزبكية

عُمر زَينبْ يوسُف

القديس والأرملة السوداء

تأليف : ليسلى تشارتريس
ترجمة : عبد المنعم حسن

الفصل الاول

كان الصوت الذى يتحـــدث فى التليفون خلابا ، استمع اليه سيمون بنفس اللذة التى احس بها فى متحف اللوفر وهو يتأمل باعجاب ابتسامة الجوكندا رغم ثقته بأنه يصبح مالكا لتلك اللوحة ، كان الصوت موسيقيا ، جذابا ، حتى ان سيمون احس بنشوة تغزو جسمه .

وقالت صاحبة الصوت :

ــ اتوسل اليك يا مستر تمبلار . .ان حضورك سيسعدنى كثيرا ، ولن يكون هناك الا بعض الأصدقاء، و . . . .

فقال بصوت عذب :

ــ ... اننى لا أعرفك ، فبأى صفة تدعيننى ؟

ــ لكى اتعرف عليك

وحاول سيمون ان يتخيل محدثته المجهـــولة ، هل هى شقراء ، ام ســـمراء ؟ كلا .. غالبا ما تكون حمراء الشعر ، ذات لهجة فتية .

وعادت تلح : ــ هل ستحضر ؟

ــ انك تتوقعين ان ترى رجلا فذا ... ولكننى أعلنك باننى اجهل لعب الورق ، كما أننى اخرق ، يضرب بعدم حذاقتى المثل .

فقالت المجهولة محتجة : ــ انك تذم نفسك ..

وغيرت لهجتها فجأة وقالت بشىء من التحدي :

ــ على أن الامر متروك لك ... وانا اقطن شارع

ايست رقم ٨ فماذا راق لك ان تدخل من النافذة ؟
فلن تضل الطريق لان البيت مضاء كله .

وضحكت ضحكة ماجنة لاقت استحسان القديس وتخيل جمال فمها ، ... وحدث نفسه : لماذا لايقبل الدعوة ، وها قد غابت عنه المغامرات منذ ايام ... لماذا لا ينتهز هذه الفرصة الطيبة ويزور هذه المجهولة

وارتفع صوته فى التليفون : — ربما حضرت ..

وسمع صوت التليفون يقفل من الطرف الاخر ، وفعل هو كذلك ، وتناول سيجارة وأشعلها ، وتطلع من النافذة حيث بدت أضواء نيويورك توهج سمائها وكانت ضوضاء الحياة الليلية للمدينة الكبيرة تصل الى المسكن الذى يشغله القديس على سطح احدى العمارات .

واتكأ على السياج ، وتطلع امامه وسط الظلام : فهناك امرأة حمراء الشعر ، تفكرّ فيه ، وتنتظره ، فلأى سبب ؟

وشعر برغبة فى الذهاب الى ذلك العنوان ، ولكن ما الذى سيجده هناك ؟ لعلها قبيحة ؟ ... وما اكثر خداع الصوت فى التليفون ...

واستلقى على المقعد الفسيح الموضوع فوق السطح واستغرق فى التفكير محدثا نفسه بأنه اذا كانت المغامرة تتمسك به حقا ، فستحضر اليه فى عقر داره .

وعندما دق الجرس الخارجى ، لم يدهش ، ولم ينفعل عندما رآها على عتبة الباب ، فقد كانت حمراء الشعر فعلا .

واشرقت بابتسامة عذبة اضاءت وجهها الجميل ولمعت خصلات شعرها الذهبى الضارب الى الحمرة

كأنها شعلة من نار ، وبرقت عيناها الخضراوان ببريق ذهبى ، وبدت بشرتها سمراء اللون بفعل الشمس .

وقال سيمون : — لا شك ان آلهة الجمال قد زارتنى .

فقالت الفتاة : — هل أعتبر ذلك مجاملة ؟

فأجاب وهو يفسح الطريق — بدون شك .

ودخلت بخطوات راقصة ، وتأملها بلذة هاوى المجموعات . وكانت فارعة الطول ، رشيقة القوام ، متناسقة السيقان ، واظهر ثوبها الغالى جمال عنقها وكتفيها ، واستدارت بحركة رشيقة وقالت : — والان

وانحنى سيمون وهو يجهز كأسا من الكوكتيل وقال :

— اننى طوع ارادة ملكة الجمال

— لو انطبقت على هذه الاوصاف لكان اسمى يلمع منذ وقت طويل على واجهة كل دور العرض فىبرودواى

ومد لها يده بالكأس ، فنظرت الى محتواه ، وابتسم هو بلطف وقال بلهجة التأكيد :

— ليس بالسم ، ولا بالمنوم .

واخذ يشرب كأس الويسكى ، وهو شرابه المفضل دون أن يرفع نظره عن الزائرة الجميلة وقال :

— لعلى لاأكون فضوليا اذا سألت عن سبب هذه الزيارة ، التى تورط فتاة مثلك ، وبخاصة وان الساعة الثالثة صباحا .

واجابت الفتاة وهى تبدى اشارة اعتذار :

— الحق اننى لا اعرف عنك الكثير . الا انك القديس .. اليس كذلك ؟

— للاسف .. مع اكليل من الغار ، ومهارة فى اطلاق المسدس ، وميل طبيعى غريب للقاء الجثث فى طريقى ..

وابرقت عينا الفتاة ثم مالبث أن خبأ البريق . وتابع تمبلار حديثه .

— على أننى أحب كثيرا ان تنادينى السيدات الشابات باسم سيمون .. — والان .. اسألك بدورى لو اننى تتبعتك فى الطريق ، فما الذى اصنعه لاستميل عطفك ؟

بمناداتى باسم مارى .. مارى فيرفا ..

— الاسم ، كاللقب ، كلاهما جذاب ، يفوح بعطر مسكر .

ونهضت من مقعدها ، ووضعت الكأس على المنضدة واقتربت بخطاها الراقصة وحدقت فى عينى القديس الزرقاوين ، وقالت له

— يجب ان نرحل فورا ؟

— حقا ؟ اليس من الافضل ان اجلس بالقرب منك هنا ، وان اطفىء الأنوار ، عدا ذلك المصباح . وان اهمس فى اذنيك بكلمات عاطفية ، بينما تنحنى رأسك على كتفى ..

فصاحت بقسوة مفاجئة :

— كفى .. ومن الأفضل ان اقترح عليك رجلا

فقال تمبلار — حقا ؟

وارتسمت على وجهه البرونزى ابتسامة ساخرة

— نعم .. رجل ! وستشرح لى ماذا يفعل فى هذه اللحظة وهو ممدد على بساط صالونى

— أهو سكران ؟

— ميت .

ـــ سكران ميت ؟
ـــ ميت فقط
ـــ بالقلب ؟
ـــ بل برصاصة

وقد تبادلا هذه العبـــارات الست بطريقة لا عبى البينج ـــ بونج ، ورنت الـــكلمات مثل الكرات على المضارب الخشبية القصيرة . واحس القديس بنوع من المبارزة بينه وبين هذه الفتاة الجميلة التى لا يزيد عمرها على عشرين سنة ، والتي جاءت تزوره بعد منتصف الليل لتحدثه عن جثة .

وقال : ـــ لقد تنبأت بأنها تطوف حولى .

من ؟

ـــ المغامرة .. فهى صديقة قديمة ، تهجرنى احيانا ولكن لوقت قصير ، فما ان اركن الى الكسل ، حتى تتذكرنى .. والآن يا مارى : انك جميـــلة ، شقراء ، رقيقة القلب . وقد منيت نفسى بحبك .. وها انت تحدثيننى عن جثة ...

وفى هذه اللحظـــة دق جرس التليـــفون ـــ واحنى القديس صدره قليلا وقال : ـــ

هكذا شأنى دائما مع المغامرة فهى تحمل الى اكثر مما تتخيلين ..

تناولى السماعة الاخرى قائلا فاننى اراهن على ان المكالمة لك .

وتناول السماعة ، وسمع كل منهما صوتا رديئا ، كأنه يمضغ الكلمات يقول :

ـــ هل مارى موجودة ؟

ولم يرد سيمون ، فى حين ابدت الفتاة دهشتها ، وتابع الصوت حديثه :

ــ شكرا ، فان صمتك يكفينى يا قديس . وها انا ارى انك لم تتغير . والافضل لك ان تطرد مارى .. فليس الامر مجرد لعب بنات صغيرات ..

وساد سكون غريب ، خانق ، مقلق ، ثم صرخ الصوت : ــ كلا .

وسمع سيمون صوت التليفون يغلق ، فأقفل من جانبه . وتأملته مارى فيرفا ، وقد اتسعت حدقتاها ، ووضع هو يديه فى وسطه ، واحنى راسه قائلا :

ــ هل تعتقدين أن الجثة التى تحدثيننى عنها قد انتهزت فرصة مجيئك الى هنا فعادت الى الحياة لتتكلم معى .. هيا بنا ..

وقادها آمرا حتى انها لم تقاومه ، ونزلا بالمصعد الى الدور الأرضى واوقف سيمون تاكسيا أركب فيه الفتاة وجلس بجانبها وطلب من السائق الذهاب الى شارع ايست رقم ١٨

واخذت تتأمله على ضوء مصابيح الشارع الباهتة وقال هو مبتسما :

ــ ها هى المغامرة فى طريقها ، واعترفى انها حسنة البداية ، فانا من طراز الرجال الذين يقدرون قيمة كل لحظة ، يقضونها بجانب شقراء رائعة الحسن ... وانت مثال الفتاة الشقراء التى احب الانفراد بها .. فما رأيك ؟

ــ كف عن المزاج يا سيمون .

ــ لماذا ؟ حدثينى اذن عنه ..

ــ عمن ؟

فتناول يدها الطويلة ، الرشيقة ، المزدانة بخاتم ثقيل من الزمرد ، وداعبها بأصابعه وقال موضحا :
ــ صاحب الجثة التى تزين البساط فى صالون ، ما اسمه ؟
وهزت خصلات شعرها الاحمر وقالت بابتسامة غريبة :

ــ اسمه بول هنلى ، وهو صديق قديم لى ..
واستلقى تمبلار الى الخلف وقال :
ــ مدهش .. اننى احسد هذه الضحية .. أن يكون صديقا لك ..

كان هذا الصديق القديم عشيقا سابقا ، ثم زوجا بعد ذلك .. ثم عاد صديقا قديما .

ــ يا للقدر .. يشقى الانسان حياة كاملة ليجد نفسه اخيرا ، فى نقطة البداية .. وبالمناسبة هل هناك بعض الاعداء القدامى ؟

ــ لا اعتقد ، أو على الأقل ليس هناك عدو قديم بين زوارى هذا المساء .

واخرج علبة سجائره ، واشعل سيجارة ، ونفخ ببطء نفسا طويلا من الدخان . وسألها :

ــ قد يتضح لى الامر لو شرحت لى كيف تزرع الجثث فى منزلك ؟

ــ كنت قد دعوت بعض الاصدقاء المقربين ــ وهم نفر قليل ــ لتناول العشاء ، ونهض بول عقب انتهاء العشاء قائلا : سآتى بسيجار ، أما زالت فى نفسى المكان ؟ .. وخرج من قاعة الطعام ، وبقيت مع الاخرين جميعا ، ولكنه كان غيورا ، الى حد يفوق

غيرته عندما كان زوجى ، وذهبت اليه لا تفقد الإمر ، فوجدته .. ميتا ..

وتمتم القديس : — الناس على انواع ، فهناك من يبذلون المستحيل لادخال البهجة على الحفل .. وهناك آخرون مغرمون بسرد الأكاذيب ، ولكن امرهم يكشف فى النهاية .. والبعض يحرك يديه .. والبعض الاخر يمر بلسانه على شـــفتيه . اما انت فتشنجين انفك يا مارى .. مثل الأرنب .

وتمالكت الفتاة اعصابها ، وتطلعت خارج السيارة التى كانت قد غادرت الاحياء الفاخرة بالحياة الليلية ، ودخلت الشوارع المقفرة ، التفتت الى سيمون ، الذى ارتسمت على شفتيه ابتسامة ساخرة ، وهو يتأملها فى سكون ، وقالت له بلهجة عدائية :

— اتظن اننى اكذب عليك ؟

— ليس مجرد ظن ، بل انا واثق . فليس عندك ميت ..

— ولكن ..

— ولكن .. الواقع انك راهنت اصـــحابك على استقدام سيمون تمبلار الى منزلك ، وجعله يستعرض بعض العابه المفضلة مثل شعوذة الجثث ، ورمى الخنجر ، والمبارزة بالمسدس ..

وخفف السائق من سرعة السيارة ، وهو يتطلع الى ارقام المنازل قبل ان يتوقف ، وختم سيمون عبارته ضاحكا :

— لقد ربحت الرهان يا مارى . فقد استطعت ان تأسرى الوحش حيا .. وسأكون عند حسن ظنك ، وبخاصة اذا كان الويسكى طيب المذاق .

ـ ربما انصرف ضيوف لاننى تأخرت عليهم بسبب ترددك ..

ولم يرد القديس . وتوقفت السـيارة ، وقفز سيمون الى الارض ، ودفع أجر السـائق ، وتطلع حوله بغريزة الدفاع عن النفس . وكان الشارع هادئا والمنازل ذات طوابق معدودة ، يسبق كل منها فنـاء صغير ، وطابق مسحور له سـلم من ثلاث او اربع درجات ، يجب اجتيازها للوصول الى مدخل البيت...

وتبع القديس ، مارى ، والتفت فجأة خلفه فشاهد خيالا يتسربل بالظلام فى أحد الأفنية .. ولم يخطىء الظن فقد كان هناك رجلا يراقب منزل مارى فريفا ..

وتمتم سيمون : ـ شـكرا يا مارى .. فسأشهد ليلة مثيرة بفضلك .

وفتحت الباب ، وتصاعدت من الشقة اصوات ضحك ، وموسيقى ، وقرع كؤوس .

وقالت وهى تتنفس الصعداء : ـ مازالوا فى الداخل

وتوقفت الفتاة فى الردهة امام مرآة كبيرة وضغطت على زر فانبعث ضوء ساطع ، وفتحت حقيبة يدها وتناولت منها علبة البودرة واصبع الاحمر ، فقال لها سيمون :

ـ لا حاجة الى الزينة ، فأنك تشوهين جمالك بهذه الطريقة .

وكان يحدق فيهـا ، وهو مائل ناحيتها ، وامسك بكتفيها فجأة ، وهى ترى خياله فى المرآة ، واقشعر بدنها عندما زاد سيمون من ضغط يديه وقامت بنصف دوره لتتأمله ، وقال بابتسامة ساخرة وهو يتطلع الى ساعته :

ـــ عندما افكر فى اننى تعرفت بك منذ خمس وثلاثين دقيقة ، ولم ننفرد ببعضنا لحظة واحدة

فقالت بدلال : ـــ لم يضايقنا سائق السيـــارة

ـــ كلا ، ولكننى كنت افكر فى جثة الصديق القديم العاشق ، الزوج ، كونى صريحة يا مارى ..

وداعبت الشابة خد سيمون بيدها الطويلة ، وزادت الضجة فى الغرفة المجاورة ، واشـــارت الى الباب قائلة :

ـــ كان يجب ان اجىء بك الى هنا .. فقد راهنت على ذلك .

ـــ باى مبلغ ؟

ـــ مائة دولار

ـــ ليس هذا بكثير لاستقدام قديس حتى البيت .

وعادت الى المرآة واصلحت شـــعر رأســـها .. وقالت :

لم انجح فى دعوتك بالتليفون ، لذلك قررت ان احضر الى بيتك ، ثقة منى بان سيمون تمبلار لن يرفض الحضور ما دام الامر يتعلق بفتاة جميلة متضايقة من وجود جثة فى منزلها . والواقع ان الجثة هى التى جذبتك اكثر من الفتاة الجميلة .. ومع ذلك فلم يبد عليك القلق او الاضطراب وظل هو مبتسما ، يتابع ببصره دخان سيجارته وقال متعجبا :

ـــ مازال امامك الكثير ايتها الفتاة الصغيرة لتتعلمى فن الكذب . لقد فاتك ان الساعة كانت الثالثة صباحا عند وصولك الى بيتى ، وانك رويت لى ان صديقك

القديم ، العاشق ، الزوج ، الصديق قد قتل عقب انتهائه من العشـــاء ، واظن انه ما من امرأة تعرف بأدارة البيوت يمكن ان تترك جثة فى صـــالونها هذا الوقت الطويل ، دون ان تفعل شيئا .

واحاط بخصرها وساقها الى الغرفة التى كانت تزداد فيهـــا الضجة من لحظـــة الى أخرى ، وكانت اصـــوات الضحك تختلط بأصـــــوات فتح زجاجات الشمبانيا ، وكان صوت سيدة يتغلب احيانا على تلك الضجة وهى تقول : « هيا .. يا لغبائك يا بول .. »

وعلق تمبلار : — يبدو ان ضيوفك يتسلون .

وأحس بجسم مارى يتقلص تحت ضغط يديه ، كما لو كانت تخشى خطرا مجهـــولا . وتمتم المغامر وهو يشعر أيضا بتوتر غريب :

— هذه الضجة شديدة .

وترك الشابة ، وخطا الى الباب وأدار اكرته ، ثم دفعه بقدمه .

وصرخت مارى بفزع .. فلم يكن بالصالون أحـــد لا أحد البتة الا جثة ممددة بأسفل قطعة من الأثاث .

الفصل الثانى

وضع ســـيمون يديه فى وســـطه ، وأحنى رأسه متأملا الرجل الراقد تحت قدميه ، وقال :

— لا أحـــد .. ومع ذلك فقد اســـتمر ضيوفك فى التسلية برباطة جأش ، يستحقون عليها التقدير .

فلجلجت مارى : ، ولكنه .. بول .. هو

وتقدم سيمون بحذر ، وتوتر ، يتفقد المكان ، كانت الغـــرفة فسيحة ، مؤثثة بطريقة غريبة : فأختلطت قطع الاثاث الحديثة مع المقاعد القديمة الطراز وزينت النوافذ الثلاث بستائر حمراء ، كانت احداها مفتوحة مما جعل الهواء البارد يتسرب الى الداخل .

وكانت أصوات الضحك ، وصدى الاحتفال الذى لا ينتهى ما زالت ترن فى الآذان .. وقال سيمون :

ــ يا لها من حفلـــة غريبـــة ، بدأت بدون جثة ، وها هى الجثة بغير حفلة .

ووضعت المراة الشابة يدها على فمها ، واتسعت حدقتاها من الرعب وهى تتابعه ببصرها ولجلجت : ــ ــ اقسم لك .. ــ اننى اصدقك .

واقترب من قطعـــة الأثاث التى تجمع الراديـــو والتليفزيون والبيك ــ آب ، والمسجل على الاسطوانات واشار اليها قائلا :

ــ هذا هو كل ما تبقى من ضيوفك يا مارى .. ضحـــكات ســـيدات بتاثير مداعبتهن واصوات فتح زجاجات الشمبانيا ..

فاعترفت وهى تضحك مبتئسة :

ــ لا يشعر أحد بالضيق عندى ، عادة .

واصاخ سيمون السمع ، وارتفع صدى اصـــوات حفلة ولت يقول وسط الغرفة الصامتة ، المطلة على الليل : « يا لجنون الشرب .. يا حبيبى فوردى .. »

وقالت مارى : ــ هذه هى نانسى ريد

واستمر مكبر الصوت يحكى « اين الشمبانيا .. أين بول جون .. » وقالت الشابه تشرح : ــ هذا هو فورد تشبيلى .

وتوقفت الضجة فجأة ، وانحنى القديس على الجهاز

وفحصه ثم قال :

ــ لقد أوقفه البعض فى هذه اللحظة

ورفع يده عندما ارتفع صوت المكبر فجــأة يقول :

ــ انا .. انا .. يجب ..

وكان الصوت لرجل فى النزع الأخير .. فتمتمت مارى برعب : ــ هذا هو بول .

ــ هيا .. مقهى هابرا .. هو .. وحـــده .. بيزوس .. وتبع ذلك ضحكات خافتة ، ثم سكون تام

وتقلصت يد مارى على ذراع سيمون ، وعبرت نظرتها عن الرعب المتزايد ، وأحس بها وهى ترتعد .. وقال القديس شارحا :

ــ ليس من العســـير تفسير كل ذلك . لقد قتل صديقك العجوز بعد رحيل ضيوفك .. وأصيببجروح مميتة فتدحرج حتى قطعة الأثاث التى تضم الراديـــو والمسجل ، واستطاع ان يدير جهاز التسجيل ، لكى يقدم لنا بعض المؤشرات .

وقالت الشابة وهى تتأمل الجهاز كما لو كانمسكونا بارواح شريره :

ــ هل تظن ذلك ؟

ــ بكل تأكيد . كان زوجك الســـابق يريد ادارة التحقيق وهو مشرف على الموت .

ــ يا للعجوز المسكين .

ــ لا تضعفى امام العاطفـــة ، فانت بحاجة الى استعادة قواك .

واتجه الى البار المتنقل ، فى حين جلست مارى واخذت تنصت بانفاس قصيرة سريعة ، ورن جرس التليفون فجأة فى الغرفة الساكتة ، وارتجف الاثنان .

ورفعت مارى السماعة وقالت :
ـ هالو ؟
واتسعت عيناها وهى تتلجلج : « ولكن .. ولكن »
وابتسم سيمون بهدوء ، وسحبت عيناه وهو يقول
ـ اراهن ان هذه المكالمة لى .
ـ نعم .. ولا افهم مغزى ذلك .
وتناول سيمون السماعة قائلا : ـ هالو ؟
وجفل عندما سمع صوتا نسائيا ، فقد كان يتوقع أى شىء الا ذلك ، وقالت المكالمة ببطء ـ هالوياقديس .. اننى سعيدة لسماع صوتك . وكنت آمل ان اراك منذ وقت طويل . ويبدو لى أنك لمخلوق شئوم بصفة خاصة بل وخطر على المجتمع ، فلا تدهش اذن اذا كنت قد قررت تصفيتك ، وازالتك من الوجود . وقد اردت ان أحذرك ، فما الذ أن يقتل المرء الانســـان الذى يتوقع الموت .. طاب مســـاؤك ياقديس .. وقبل مارى نيابة عنى ،
فأجاب سيمون : ـ لا شك اننى لن ادع تنفيذ هذه المهمة الى أى أحد آخر . ولكن لا تنهى المكالمة فما الذ ان يخبر الانسان عدوه باسمه .
وردت المتحدثة بضحكة غريبة ، صادرة من الحنجرة وحاول سيمون تخيل تلك التى تجسر على الضحك بعد ان هددته .. ولم يتردد فى سؤالها :
ـ هل انت جميلة ؟ وشابة ؟ ..
ـ حزر يا قديس . وانا اسمح لخيالك ان ينطلق : ولكن لا لوقت طويل . وعلى أى حال فاذا أصررت على اعطائى اسماء فسمنى .. الارملة السوداء .. طاب مساؤك .
وسمع سيمون صوت السماعة وهى تعاد الى

مكانها فعاد الى البار وشرب كأسه دفعة واحدة ، وملأه من جديد ، وحدقت فيه مارى وهى شديدة الشحوب ، وسألته :

ــ من المتحدثة ؟ . كيف عرفت انك موجود فى مسكنى ؟

فاقترب منها ، وجلس على الاريكة . واحاط كتفيها بذراعيه وجذبها نحوه ، فاستراحت بعد مقاومة قصيرة وتمتمت : ــ سيمون ..

ــ كم تنطقين اسمى بعذوبة يا مارى . سيتعسنى ان يصيبك مكروه .. فان هناك خطرا كبيرا يتهددك . وتذكرى اننى تلقيت مكالمة تليفونية فى مسكنى قبل مجيئك الى هنا ، ونصحت بان أطردك . واقطع يدى ان المتكلم كان بول .. لأنه لم يكن يريد ان تجعلينى اتدخل فى حياتك ، التى كانت حتى الان على الأقل ، ملكا له الى حد ما . وهنا لاقى الموت

ــ ولكن .. لماذا ؟ ومن القاتل ؟

ــ تأتى لحظة يا فتاتى الصغيرة .

وقبل شعرها الاحمر ، وضغطت مارى على يده ، وتركها وانحنى على جثة بول هينلى ، وتأمله بضع ثوان ، ثم جلس القرفصاء وأخذ يفتش جيوب الميت وهو يصف ما يجده :

ــ منديل : لا اهمية له . سجاير ، ثقاب ، نقود .. واحد ، خمسة ، عشرة ، عشرون ،سبعة وعشرون .. دولارا وثلاث قطع من النقود المكسيكية ..

ووضع سيمون البيزوس ــ النقود المكسيكية ــ فى يده وظل ساكنا برهة ، ثم وضعها فى جيبه وعاود التفتيش فوجد حلقة مفاتيح ، وضعها فى جيبه ، ثم اخذ ينقب فى حافظة الميت . ورفع راسه فجأة وانصت

ثم اعاد الحافظة الى مكانها ونهض ، فقد سمع صوت صفارة فى الشارع وابتسم محدثا نفسه : « ان الأرملة السوداء لا تضيع وقتها ، فقد ابلغت البوليس حتى يجد القديس فى هذه الشقة بصحبة فتاة جميلة ، وجثة حتى لا يكون من السهل اقتناع مفتش الشرطة « فيرناك » بالحقيقة ، وامسك بذراع مارى وجذبها بشدة قائلا : — أسرعى : ولم يتسع أمامها الوقت لتعارض ، فقد كان يفرض ارادته عليها .

وقال لها : — يجب الهرب من الباب الخلفى اذ لا اريد ان يجدنى رجال الشرطة هنا . فلن يسهل علينا اقامة الدليل على ان صديقك القديم قد قتل فى غيابك : يجب الا تبقى هنا البته . وقفزا السلم ، ووصلا الى فناء صغير محاط بجدران قصير جدا ، ورفع سيمون الشابه على كتفيه ووضعها على السور ثم لحق بها وساعدها على القفز من الجهة الاخرى .

وسمعا صوت سيارات كثيرة يتصاعد من الشارع المجاور .

وشق هدوء الليل صوت صفارة . ولم يتخل عن سيمون ملاكة الحارس ، فقد اكتشفا ممرا ضيقا طويلا ، بين بيتين فسارا فيه ، وبدأ خيال شخص فى نهاية الشارع تمتم القديس :

— لم تهمل الارملة السوداء التفاصيل الدقيقة .

وتقدما بحذر ، وكان سيمون يسير فى المقدمة ، وطلب من مارى ان تلتصق بالحائط ، وتقدم على أطراف قدميها ، وكان الحارس فى وضع يمكنه من مراقبة الحركة فى الشارع ، ومن خلفه صناديق القمامة ، التى انبعثت منها رائحة منفرة ، وصادفت يده عنق زجاجة فوق القمامة فأمسك بها ، رفع ذراعه ،

ثم هوى به بقسوة ، وسمع أنين طويل ، هــو انين الحارس الذى لم ينتبه لاقتراب القديس منه ، وقــد سقط على الارض جامد الحركة،وانحنى عليه سيمون، واضجعه فى وضع مريح ، واسند رأسه الى حزمة من القمامة قائلا لمارى :

ـ ليس هناك أفضل من البرتقالة العفنــة لتكون مسندا .

وانتابته الشهقة ولكنه كتمها قائلا :

ـ ليس هذا وقت المرض

وظل سيمون ممسكا بذراع مارى حتى اخرجها من الممر الضيق ، وسارا فى الطريق العام ، وكان الليل يقترب من نهايته ، وكان هناك ضباب خفيف ساعدهما على الخروج من منطقة الخطــر ، وعندما ابتعدا ، التصقت مارى برفيقها ، وسألته :

ـ ماذا سنفعل يا سيمون ؟

ـ اتعرفين ما هى الارملة السوداء يا مارى ، انها حشرة سامة ، وسنواجه جريمة خطرة : اننا نعلن الحرب على الأرملة السوداء يا طفلتي .

الفصل الثالث

توقفا امام احد هذه المحــال التى تقدم الوجبات الخفيفة ليلا ، نهارا ، وعندما جلسا قال ضاحكا :

ـ ان الانفعالات تفتح شهيتى .

واحس بها ترتعد وهى تلتصق به وقالت

ـ لا شك ان الشرطة تبحث عنى فى هذه اللحظة .

فقال لها برفق : ـ اسمعى يا مارى : اذا اردت ان تبقى على صداقتى ، فلا تتحدثى بتاتا عن الشرطة .

ــ اننى أريد ان افهم لماذا قتل بول ؟ ماذا فعل ؟ اننى أؤكد لك ان اصدقائى ليســـوا اشرارا .. وقد سمعت كيف كانوا يضحكون .

ــ هل تظنين ان نانسى كانت ستضحك هكذا لو اننا حذرناها ؟

واقبل الجرسون ، فطلب منه بعض السندويتشات ، والقى أمامه بحفنة من النقود الصغيرة،فرنت احداها بصوت الفضة ، فتناولها وأخذ يفحصها وهو يتساءل: لماذا كان بول يحتفظ بنقود مكسيكية ــ لماذا ؟؟

ووضع القطع الثلاث فى جيبه وسأل الجرسون وهو يناوله ورقة ذات عشرة دولارات :

ــ هل لك صديق حميم يسوق تاكسيا ؟

ــ باستطاعتى ان اجد لك ما تريد ياسيدى

ــ اريد سائقا لا يهاب الشرطة ولا يخشى الغرامات

ــ عنـــدى طلبك . ولكن يجب أن تعامله معاملة كريمة ..

وابتعـــد الجرسون ، وحدقت فيه مارى ، وكأنها تعتب عليه اهمال شأنها ، فلم يقو على المقاومة ، وقبل فمها الجميل .

وقال لها : ــ اتذكرين يا مارى آخر كلمات بول كانت عن النقد المكسيكى (البيزوس) ؟

فسرت على بدنها قشعريرة ، وتقلصت يدها فوق قبضته وسألته : ــ ماذا تعنى ؟

لا أدرى .. فنحن نواجه سلسلة من الظواهرالمبهمة .. وعندما يحضر التاكسى سنلعب ورقة لم يفكر فيها قاتل بول حتما .

وأمسك بها بقبضتيه ، واجبرها على مواجهته ، وشخص بعينيه الزرقاوين فى عينيها وانتفضت مارى ،

كان قوة عليا تتحكم فيها وقال لها : ـــ
ـــ أصر على ان تصاريحنى بالحقيقة . فمازال أمامنا وقت اذا كنت تخفين عنى شيئا حذار فمهما كان جمالك ساحرا ، الا اننى لا أرحم من يسخر منى ..
ـــ أقسم لك ..
ـــ اننى امقت القسم ..
وعاد الجرسون ، ومسح الطاولة قبل ان يتكىء عليها ، واشار بذقنه قائلا :
ـــ ان صديقى هناك .. داخل هذا التاكسى .. ذى اللونين الأسود والأصفر .. ويدعى سام ، وانبهك الى انه لا يتبع العداد .. وستكون مطمئنا معه يا قديس .
وحياه سيمون بطريقة مضحكة وقال الجرسون وهو يهز راسه :
ـــ لقد عرفتك بمجرد وصولك . وباستطاعتك ان تحضر الى هنا كلما احتيجت الى مساعدة .. وهم يطلقون على اسم « جولى جود »
فقال سيمون وهو ينهض :
ـــ شكرا ياصديقى ولن انسى مرؤتك . هلمى يا مارى .
واركب سيمون رفيقته فى السيارة ، وجلس بجانبها وانطلق السائق قبل ان يتلقى تعليمات وقال :
ـــ انك تدرك ياقديس احتمال وجود احد فى الجوار .. والان الى أين ؟
ـــ الى مقهى هاير .. هل يذكرك هذا المقهى بشيء ؟
فصفر السائق قائلا : ـــ واكننى لا اظنها مفتوحة فى مثل هذه الساعة .
ـــ فلنذهب علي اى حال .

ونظرت اليه مارى وسألته : ـ
ـ لماذا الذهاب الى مقهى هابرا ؟
ـ لأننى اذكر ان بين الـكلمات الاخيرة لصديقك القديم بول ، كلمة مقهى هابرا . ولن يدهشنى ان نلتقى هناك بالسنيور دور ريجيز الذى قد يلقى بعض الضوء ..
وتدخل السائق قائلا .. دون ان يلتفت خلفه :
ـ ياقديس .. الا تكثرت اذا اقتفى اثرك أحد ؟
ـ لقد تعودت ذلك . .
وكان النهار قد اشرف ، ودخل التاكسى الى حى اكار اناقة بعد ان طاف بشوارع شعبية ، ووقف امام مقهى اطفئت لافتته الـكهربائية . ولكن الاسم كان مقروءا : مقهى هابرا : وكان ديكور المقهى الخارجى يحمل طابع المكسيك ، واحاطت ببابه نخلتان . وقفز سيمون من التاكسى وجال بنظرة فى الجوار ، فقال له السائق :
ـ لا تتعب نفسك ، فقد تخلف الرجل الذى كان يقتفى أثرك .
ـ شكرا .. وابق هنا يا سام .. واذا سمعت اطلاق الرصاص ..
فهز السائق كتفيه وقال . لقد حضرت معاركثيرة
وتأبط المغامر ذراع مارى واقترب من الباب الذى فتح امامه ، وقال للشخص الذى فتحه :
ـ هل كنت تتوقع قدومنا ؟
وكان شخصا غريبا ، طويلا ، نحيفا ، اصـفر البشرة ، حزين النظر ، يرتدى بذلة مكسيكية وقال
ـ لقد رأيتك ياسـيدى .. ولكننى اعتذر لك فالمقهى مغلق هذا الصباح ، وارجو الا تغضب ، وار

تشرفنا مرة أخرى ...
ـ هذا المساء ؟
ـ كلا ...
كانت ماري تهم بالتراجع ، ولكن القديس استبقاها وقال للرجل :
، لعل السنيور يسمح لنا بمحادثته لحظة . أليس كذلك يا سنيور .. ؟
وقدم الرجل نفسه : ـ سنيور بويبلو .
ـ حسنا يا سنيور بيوبلو ، انني اريد ان اتحدث معـك .
قال ذلك وهو يدفع الرجل المكسيكي براحة يده ، ودخل بشكل آمر ، بينما كان الاخر يحاول عبثا منعه ولكن جهده ذهب عبثا ، فاضطر ان يتراجع ، وان يسير خلف سيمون وماري ، اللذين دخلا الى حلبة المقهى ، حيث كان بعض الخدم يتمون تنظيف الموائد ، وقد بدأ الحزن عليهم ، والتفت القديس الى الرجل قائلا :
ـ انها مسألة حياة ، أو موت يا سنيور بويبلو .. هل فهمتني ؟
ـ كلا ..
اذا حدثتك عن السنيور رود ريجيز .. هل تفهم احسن ؟
وكرر بويبلو الاسم بلهجة غريبة ..
ـ آه .. رود ريجيز . كان ينبغي ان تذكر ذلك منذ البداية ، اذا أردت البيرة فتعال معي واشار الى ممر جانبي وتقـدم زائريه ، والتصقت ماري بسيمون وهمست في اذنه بصوت خافت :
ـ انني خائفة يا سيمون .. ماذا يعني بـكلمة البيرة ؟

فقال باستخفاف :

ــ لعلهم يقــدمون البيرة فى مؤخرة المحل عندما تغلق ابوابه .

ولاذ بالصمت عندما مر بهما شخص يرتدى ثيــاب الحداد وهو ينتحب . وكان الممر مظلما ، لم تستطع تبديد ظلامه المصابيح الحمراء المعلقة بين كل مسافة واخرى . وجاء رجل يعدو وهمس فى اذن بويبلو بضع كلمات ، وسمعه سيمون يتمتم بعبارات متقطعة .. السنيور .. يجب الاحتراس .. فهناك تهديد ..

فقال له سيمون : ــ خبرنى يا سنيور بويبلو : هل يستعصى على الظمآن الشرب عندكم ؟

فأفسح الرجل دون ان يجيب ، وتكشفت لهمــا غرفة مجللة كلها بالسوداء ، وشاهدا باقة من الزهور بجانب تابوت ، ومن حوله بعض النســوة يصــلين ، وكانت احداهن تنتحب بحرارة .

وقال تمبلار وهو يشد على ذراع مارى التى كاد يغمى عليها : ــ فهمت ..

وانتشرت رائحة الزهور القوية ، وتصاعد دخان شمعة كبيرة وتقدم رجل قصير ، وأقرب منه القــزم وقال :

ــ هل تريد ان تلقى نظرة على الرفات ياسيدى ؟

وصـــدرت عن مارى صرخة مختنقة . وابتسم التزم واحنى جبينه ، وتعلقت الشابة بذراع سيمون بعصبية ، واقترب المغامر من التابوت ، حيث تمددت جثة رجل ، ورسم الصليب ، ثم ابتعد وقال لبويبلو :

ــ ما زلت اود الحديث معك .

واطاع الرجل ، وادار عقبيــه وخــرج ، يتبعه القديس ، بينما كانت مارى تترنح

ودخل بويبلو الى الغرفة المجـــاورة واشار الى مقعد . وقدم لسيمون سيجارا ، قائلا :
ــ لعلك ظمآن ؟
ــ كلا ... شكرا
واخذ بويبلو يذرع الغـــرفة ذهابا ، وجيئة بينما يتعقبه تمبلار ببصره . ثم قال له بخشونة آمرا :
ــ اجلس فانك تسبب لى الدوار بمشيك هكذا ، اظن أنه السنيور رود ريجيز الذى اريتنى اياه ؟
ــ نعم يا سيدى
ــ هل مات الفقيد بغته ؟
ــ نعم
ــ بالقلب على ما اظن ؟
ــ نعم .. بالقلب .
ونفخ سيمون نفسا من الدخان وقال :
ــ ان اصابات القلب مميته ، فهو لا يقوى على طعنات السكين . وبخاصة اذا اطعن فى الظـــلام يا سيدى .
فكرر القديس : ــ فى الظلام .. أى لعبة خطرة .. اننى لا أفهم كيف يجسر الانســـــان على اللعب بالسكين فى الظلام ..واين وقع ذلك ؟
فحدق فيه بويبلو . وساد الصمت ، وابتسم سيمون ولكن عينيه ببريقها كانا يهدد بالشر ، وادرك الرجل مقدار الخطر الذى يتهدده فأجاب :
ــ فى شقة صديق قديم لرود ريجيز التعيس .
ــ ما هو اسم هذا الصديق ؟ فان بى رغبة ملحـــة لان أبارزه فى الظلام .
ــ هو مستر بول هنلى .
وكتمت مارى انينها ، فساقها سيمون الى خارج.

المقهى دون ان يتكلم . وكانت الشمس قد اشرقت ، وبدأ صباح — من أجمل أيام الربيع حيث يبدو كل شيء وهو يبتسم للحياة ، وحيث تبدو النساء اجمل منهن فى اى وقت آخر ، ويبدو الرجال اكثر مرحا ، ويعلو صوت الطيور وهى تصدح بصوت اقوى من كلاكسونات السيارات ، وحيث ينتشر باعـة الزهور فى كل مكان .

وانحنى السائق سام على باب السيارة وقال :

— لم اسمع صوت اطلاق النار

— فأجابه سيمون : — لانه لم يحدث .

— خسارة .. فقد حرمت من تلك المتعة . الى اين نذهب ؟

— حبذا لو قمنا بنزهة فى الحديقة فى هذا الصباح المشرق .

فهمت ... واصم اذنى ، واغمض عينى ..

قال هذا واستدار الى الخلف ، وغمز بعينيه للراكبين واطلق لسيارته العنان .

وتناول سيمون يدى مارى الطويلة واخذ يداعب اظافرها المهذبة بأصابعه .

وهمس : — هيا .. تكلمى ، فالوقت مناسب

ولبثت صامتة فعاد يقول :

— خبرينى يا فتاتى الصغيرة : من هو الرجل الذى حـــدثنى امام التابوت عن ذلك العجوز الفقيـــد رود ريجيز ؟ فانا متأكد من انك تعرفينه .

— نعم . انه خالى ميكائيل مندوزا .. شقيق امى ..

— وهل انت يتيمة ، وقام ميكائيل بتربيتك ؟

وأجابت بصوت يكاد لا يسمع — نعم

الفصل الرابع

أوصل سام الراكبين الى منزل القديس واسترخت مارى فى مقعد كبير ، وراحت تتبع ببصرها سميون وهو يذرع الغرفة ذهابا وجيئة ، وهى تشعر بالطمأنينة فى ظل هذا الرجل القوى الهادىء

والتفت اليها مبتسما وقال بوداعة :

— لا فائدة من اقفال مقلتيك ما دمت لا تنامين .

فحملقت بعينيها وجلس هو على ذراع مقعد بجانبها وقال لها :

— لقد حذرتك من اننا نواجه سلسلة من الاحداث وأولها مقتل رود ريجيز فى شقة بول هنلى ، ثم مقتل بول هنلى فى شقة مارى فيرفا ، ثم ...

— ماذا تقول ياسيمون .. ان بويبلو هو مرتكب الحوادث — الم ترى سحنة ذلك اللص ؟

— لا حظت ذلك .

ونهض واتى بسيجارة اشعلها ، ووقف امام الشابة وسألها :

— حدثينى عن مندوزا يا مارى ..

— قلت لك انه خالى

— هل كان موجودا ليلة حفلتك ؟

— كلا

— هل كان يعرف باجتماع الاصدقاء عندك ؟

ـ لماذا ؟ اننا لا نتقابل الا لماما منذ ان .. منذ ان اصبحت فى غير حاجة اليه وقد كان حنونا على ، واهتم بى وأنا طفلة .. وعندما تعرفت ببول ، لم يتخل عنى الا بصعوبة .

ـ اذن .. لم يكن يحب زوجك

فابتسمت بظرف واجابت :

ـ ظل يحنق عليه بعض الوقت ، حتى تزوجنا ، ولكنه اقلع عن ذلك فيما بعد .

وكيف تعرف على رود ريجيز ؟

لا أدرى .

ودق جرس الباب ، واتجـه سـيمون صـوبه ولكن الفتاة وقفت مفزوعة وصرخت : ـ كلا .

فألقى عليها نظرة استفهام ـ وكانت تضغط بيدها على الاخرى وقال :

ـ لعل دورى قد أتى ؟

فقال بصوته المسالم :

ـ ظننت انه ليس هناك أى مأخذ عليك .. هـذا الى اننى بجانبك ، كما انه من سوء الادب ترك انسان على الباب . وقد يكون صديقا ... او لعله سام قد عاد يحمل اليك شيئا نسيتيه فى سيارته ...

وتطلعت اليه بخوف متزايد وهو يفتح الباب . وكان القادم هو مندوزا ، الذى قال :

ـ شكرا ياقديس .. اننى اعرف انه يمكن الاعتماد عليك ؟

ودخل بخطا صغيرة .. وكان كل شىء فيه صغير الحجم .. كانت يداه مثـل أيدى الدمية .. وكانت قدماه تكاد لا تظهر من اسفل البنطلون .

وكان يفرك يديه باستمرار خلال حديثه ، ويتوقف

عن الحديث لينتزع نظارته وينظفها وقتا طويلا ، فتبدو نظراته الشاحبه .

واقترب من مارى ، وانحنى ، وقبلها بخجل وقال لها :

ـ اننى مغتبط من اجلك يا مارى .

فنظرت اليه مبتسمة ، وكان سـيمون قد اغلق الباب ، واقترب من باب الشقة وقال للزائر :

ـ هل اقدم لك كأسا من الويسكى يا مندوزا ؟

ـ قليلا فقط

وبينما كان المغامر يعد شراب الضيف ، كان الاخير يتأمل اثاث الشقة ، ثم هز راسه وقال :

ـ انك تتمتع بسكن جميل ياقديس ...

ـ احسن من رود ريجيز بلا شك

ـ يا له من سوء الحظ .. لقد كان شخصا طيبا .

ووزع القديس الكؤوس ، ثم جلس فى مواجهة الرجل القصير وسأله :

ـ ما هو الباعث على هذه الزيارة يا مندوزا ؟

فأجاب القزم بدهشة :

ـ لكى اشـكرك ، اليست مارى ابنة اختى ؟ صحيح أننا لم نكن متفهمين فى الماضى بسبب علاقتها ببول ، ثم زواجها به .. ولكن ما داما قد انفصلا ..

فقاطعه تمبلار قائلا :

ـ الى الابد ، فقد قتل بول الليلة الماضية .

وسقطت نظارة مندوزا من على أنفه ، والتقطها وتساءل :

ـ هل قتل بول ؟ وكيف ؟ واين ؟ وما معنى كل هذا ؟

فقال القديس — وهذا ما يحيرنى .. وكان الامل يراودنى قليلا على ان تقدم لى بعض الايضاحات .

وهز ميكائيل مندوزا كتفيه الضيقتين ، ومسح نظارته بمنديله ، وقال :

— اننى لا اعرف شيئا ، فقد رايتك مع مارى عند رود ريجيز ، فهرعت اليك .

— هل عرفتنى ؟

اخبرنى عنك بويبلو .

حدثنى عن رود ريجيز . من الذى قتله ؟ ولماذا ؟ اخبرنى بكل معلوماتك ... وحاول ان تكون نافعا .

ومد مندوزا يديه الصغيرتين الى الامام كمن يتوسل محدثا نفسه :

— لماذا يقسو القديس عليه وقد جاء كحليف بل كصديق ، وقال :

— ان رود ريجيز صديق قديم لى ، وهو مكسيكى وقد ولدت انا فى المكسيك ، فكان من الطبيعى ان نتعاطف ، ولذلك كنت اتردد معظم الوقت على مقهى هابرا ، ولا كزبون ، فأنا مقل فى الشراب ..

وراح يتحدث عن ايامه ، وقناعته بربح بسيط من المقامرة فى سباق الخيل ، وكان لا يغادر منزله الا قليلا ليزور رود ريجيز ، حيث كان يجلس الى مائدة ساعات طويلة .

— وكان رود ريجيز يتوقف عند مروره بى ، فنتبادل بضع كلمات ، وبالامس اتصلت بى زوجته تليفونيا فى المساء وابلغتنى ان زوجها قد قتل ، فهرولت الى هناك .. وقد اخبرتنى انت الان ان بولى هنلى قد قتل ايضا ، فهل هذا صحيح ؟

ولم يجب القديس على السؤال ، بل سأله بدوره :
— وهل كان بول يتردد على المقهى ؟
— كنت اراه هناك كثيرا .
— وماري ؟ هل كانت تتردد على المقهى ايضا ؟
وتبادل الرجل الصغير نظـرة مع ابنة اختـه ، وتقلب فى مقعده باضطراب ملحوظ ، وقامت مارى ، ولكنها سقطت على المقعد على الفور . واعترف مندوزا :
— نعم .. كانت تتردد عليه .
حسنا : ان ذلك يبدو لى واضحا . وقد احسنت صنعا بزيارتى ...
فقال الرجل الصغير الحجم بانتصار : — اليس كذلك ؟
فقال المغامر دون ان يرفع نظره عن الشابة ولا عن خالها :
— يبدو أن مارى هى الهدف الان . فعندما جاءت بحثا عنى ، تلقيت مكالمة تليفونية من امرأة .
— امرأة .
— نعم ... امرأة ذات صوت غريب ، آمر ، وكان واضحا انهم قرروا اغتيالها . وقد وصـل البوليس الى منزلها ، ولولا أننـا تمكنا من الهرب ، لما كانت هناك نهاية لمتاعبنا ، ولعل أصدقائى القدامى من الفرقة الجنائية يتعقبوننى الان ، ولكن هذا لا يهم ، نجحنا فى الهرب منهم مؤقتا ، وقد حاولت اللحاق بى ، فاصطحبتها لزيارة الرفيق القديم رود ريجيز .. والان ما رايك يا مندوزا ، لقد قتل بول عند ماري .. فهل تدرى اين قتل رود ريجيز ؟ عند بول ...

وانتفضت حدقتا مندوزا فجأة وتمتم :
ــ ولكن ما شأن مارى ؟ ماذا ارتكبت ؟
ــ لو اننى اعرف لما اعوزنا الامر للبحث .
ووقفت مارى وسارت بضع خطوات ، وتطلع اليها الرجلان ، واشعل سيمون سيجاره ودخن بهدوء قائلا :
ــ ما الذى يقلقك يا فتاتى الصغيرة ؟
فأجابت بصوت عدائى : ــ ليس لى اعداء .
صدقينى بان لنا جميعا اعداء .
ــ ما الذى ينبغى ان افعله .. لو اننى عدت الى مسكنى ، فاننى اغامر ..
ــ لن تغامرى بشىء الا الاعتقال ، والادانة .
ووافق مندوزا فى صمت وهو يزفر ، ومد يده الى الامام وعض شفتيه السفلى وقال : ــ يا قديس .. هل ..
ــ تكلم فانا على استعداد لان استمع الى كل شىء ..
ــ هل تقبل الاحتفاظ بمارى هنا ؟ لقد قرأت فى الصحف أن مس باتريشيا هولم تقوم برحلة الان فى أوروبا ، ولن تضايقك مارى ، وستصبح مارى فى مأمن .
واضاف مبتسما : من سوء الحظ أن هوبى ليس هنا الان ، فان وجوده يجعلنى اكثر اطمئنانا .
ــ حسنا .. اننى اقبل العرض . وتبعا لسمعتى .
ولا بد ان مارى التى كانت تتطلع الى الشارع سمعت العبارة الاخيرة لانها التفتت اليهما ونطق فمها الجميل بكلمتين : ــ شكرا يا سيمون .

وفرك مندوزا يديه بحرارة متجددة وقال :
ــ لعلنى آنا الاخر مهدد ، فما رأيك ياقديس ..
ولم يدعه تمبلار يكمل عبارته فقاطعه قائلا :
ــ بالرغم من انهم يطلقون على اسم القديس ، الا اننى لست ملاكا ، ولست صبورا : وانا اخشى على كيانك اذا سكنت هنا يا مندوزا ...
ــ ولكننى لا اطالب بذلك .. ولكننى اطلب ببساطة اللجوء اليك اذا شعرت بالخطر يحيق بى . ووقف يعد كأسا من الكوكتيل لنفسه ، وتأمله سيمون لحظة فى صمت ثم قال له بخشونة :
هل انت خائف يا مندوزا ؟
فارتعد الرجل الصغير الحجم وقال بحماس : ــ هل جننت ؟
ــ ها هى يداك تضطرب يا عزيزى ، ولو كان عليك ان تطلق المسدس ، لضاعت كل طلقاتك بعيدا عن الهدف .
ــ لحسن الحظ أننى لا أفكر فى استعمال سلاح ، ولم يسبق لى لمسه .
ــ هذا قد يحدث ما دمت تطلب حمايتى ، وستصحبنى ذات صباح وتتمرن على اطلاق النار باشرافى .
فقال مندوزا بابتسامة تنم عن الضيق .
مادمت تصر ، فلنذهب ، وسأنصرف الان . طاب مساؤك يا مارى ، ولا تفكرى فى كل هذا ، فلا خوف عليك هنا .
فاستوقفه تمبلار قائلا ــ قف ! وحدثنى على الاقل من أى جهة قد يأتى الخطر ؟

ـــ ولكننى لا ادرى . وانا أجهل الامر تماما .
ـــ الم يفض اليك صديقك رود ريجيز بسره ؟ ان هذا أمر عجيب ..
ـــ اظن ...
وركز سيمون عليه نظرة آمره .. فقال الرجل بعد لحظة من الصمت :
ـــ قال لى رود ريجيز يوم ـــ ذات يوم انه يمارس بعض الاعمال مع سيبلى ..
فصاحت مارى وهى تشد على قبضتها عند فمها :
ـــ أتقول سيبلى ؟ فقال سيمون موضحا : ـــ فورد سيبلى ، اليس كذلك ؟ اننى اعرف هذا الاسم .
فقالت الشابة محتجة : هذا مستحيل .
وهز مندوزا كتفيه الصغيرتين قائلا : لعلى اخطأت ولكن رود ريجيز لفظ اسمه
فقال تمبلار ـــ لماذا لا ؟ تذكرى يا مارى ان سيبلى كان عندك مساء أمس ، وقد اسمعتنى صوته بفضل البيك آب المسجل وكان يبدو ومتهللا للغاية .
ـــ تماما ..
ـــ لا ينبغى اهمال اى تفصيلات .. وسنعنى بأمر سيبلى اذا لم يكن حسن السلوك .
وقال مندوزا وهو يسير نحو الباب بخطا الفأر : شكرا .
ثم التفت الى القديس وقال :
ولعلى مخطىء ايضا فيما سأفضى اليك به الان ، ولكن هناك رجلا يقلقنى أمره ، هو بويبلو ... وكيل

أعمال رود ريجيز . فهو رجل غريب ، غريب جدا ..
وهو يفكر طوال الوقت فى الموت ..
فسأله تمبلار : فى موت الاخرين ؟
ــ كلا ... بل فى موته هو نفسه .

الفصـــل الخامس

كانت شقة القديس تحتوى على غرفة منفصلة ذات مخرج خاص ، بحيث يمكن أن ينعزل فيها الانسان فى أمان ، وقد سبق لسيمون ان آوى فيها بعضأصدقائه فى أزماتهم ، واستخدمها هو نفسه عندما كان يريدأن يتجنب مفاجأة ما . وفى هذه الغرفة أسكن مارى وقال لهـــا :

ــ أغلقى الباب مرتين . ولما كان زجاج النافذة يقاوم الرصاص ، فبوسعك أن تنامى مطمئنة .

وزفرت قائلة : ــ سيمون ! اننى خائفة ويلوح لى أن الخطر يحوم حولى ، وانك مهدد أكثر منى ، فضمها اليه وداعب خصلات شعرها ، وقال مبتسما :

ــ لقد تعودت ذلك .. وكانت جدتى العزيزة تقول دائمـــا :

« ان الحياة لا تستحق أن تعاش بدون خطر .. »
ولعلها قرأت للفيلسوف الالمانى نيتشه !

وتأملته مارى بدهشة : فان كل ما يذاع عن القديس ليس الا قطرة مما لمسته بنفسها . وكان الرجل جميلا ، مغريا !

وسألته وهي تتطلع الى وجهه البرونزى الذى يسيطر عليها : ماذا ستفعل ؟

ـ ماذا سنفعل ؟

ـ لو كان عنـــدى ذرتان من الحـــكمة لآويت الى فراشي . ولكنني لم أعرف قط ما هى الحكمة .

ـ والى أين تذهب يا سيمون ؟

ـ الى حلاقى أولا ..

ـ لا تمزح . وصارحنى الى اين تذهب ؟

ـ قد أقوم ببعض الزيارات ، فاليـــوم هو يـــوم الاستقبال عند الماركيزة دى بليسيس ..

وانحنى بعد أن أرتشف قبلته من فمها الجميل وقال لهـــا :

ـ اغلقى بابك جيدا ولا تفتحيه الا لى ..

وانتظر حتى اغلقت الباب ، وادارت المفتاح فى قفله ، ثم عاد الى الصالون ، واخذ يبحث فى دليل التليفونات . وارتسمت على وجهه ابتسامة عندما وضع الدليل جانبا ، ودخل الى الغرفة المجاورة وأبدل ثيابه .

ونزل بعد لحظـــات ، وركب سيارته واتجـــه الى الجنوب ، واستغرق بعض الوقت ليجد ما كان يبحث عنه : بناء مرتفع الجدران ، ينبىء مظهره بأنه مصنع ، وطاف سيمون حوله قبل أن يقرع جرس الباب ، ولاح فى قاع الفناء بيت حسن المظهر .. وقال سيمون للبواب :

ـ اريد مقابلة المدير .

وهم الرجل بمناقشة الزائر ، ولكن الاخير دفع الباب بقوة ودخل بعنف الى الداخل حتى ان البـــواب أبدى اشارة للدفاع عن نفسه ، فقال له المغامر :

ـ اذا أردت طردى فستنال جزاءك .

واجتاز تمبلار الفناء بسرعة ووصل الى باب المنزل وفتح بابه واجتاز الصالون ، ثم فتح بابا ثانيا واجتاز

قاعة الطعـــام ، وبابا ثالثا حتى وصل الى المكتب .
ووقف رجل دفعة واحدة وقال :
ــ ماذا تريد ؟
ــ لا أكثر من التحدث معك يا مستر سيبلى .
ــ ولكننى لا أعرفك .
ــ ان اسمى تمبلار .. سيمون تمبلار .
وقال رجل الصناعة بذهول : ــ القديس ؟
فقال المغامر ضاحكا : ، لقد تبينت اننى معروف بين اصدقائك .
ــ ماذا تعنى ؟
ــ هذا أمر يطول شرحه فلا تحنق على اذا جلست ، واصدر أمرك الى قردك بالانصراف ، فاننى أشمئز من هذه السلالة التى تذكرنى بانسان الغابة ، وجدودنــا البدائيين ..
وكان حارس البوابة قد تبع سيمون فى صمت ووقف خلفه على باب المكتب فأشار اليه سيبلى بالانصراف ، فمضى الحارس وأقفل الباب ، وشد سيبلى الروب دى شامبر الحريرى على جسمه وبدأ الحديث :ــلا أفهم..
ــ مــــاذا ؟
فقال ســـــيبلى بصوت مبحوح : ــ عندما يقـــابل الانسان ، القديس ، فهذا معناه أنه مهدد بالموت .
فقال تمبلار ساخرا : ــ من قال لك أن الامر يختلف ... حدثنى يا سيبلى : انك صديق مارى فيرفا ... أو على الاصح احد أصدقائها ؟
ــ هل اتيت لتحدثنى عن حياتى الخاصة ؟ انهـــا ليست من شأن أى انسان سواى ..
ــ وربما البوليس أيضـــا .

واخرج تمبلار من جيبه الصحيفة التى اشتراها عند قدومه ، واشار الى الخبر التالى :

« اكتشف البوليس فى شقة بالعمارة رقم ١٨ بشارع ارست ، جثة رجل الصناعة « بول هنلى » مصابا برصاصة أردته قتيلا على التو . ويقوم رجال الشرطة بالتحقيق » .

— هل مات هنلى .. ؟ ولماذا قتل نفسه ؟

— الاصح : لماذا قتلوه ؟

— هل أنت متأكد ؟

— ظننت انك تعرفنى .

وساد المكتب صمت تام ، ولم يرفع تمبلار بصره عن رجل الصناعة ، واخرج علبة السجائر ، واشعل سيجارة ثم نهض ووقف يتأمل رسما بيانيا مغلقا على الحائط .. وطال فحصه له وهو يصفر صفيرا خفيفا ، ثم عاد الى مكانه وسأل :

— ماذا ينتج مصنعك ؟ أجهزة راديو ، وثلاجات ..

فهز سيبلى كتفيه وقال :

— لم تصب الحقيقة .. نحن نصنع قطعا معدنية ، وعندنا طريقة سرية خاصة لسقاية الصلب .

— لماذا تقول « نحن » هل لك شريك ؟

واحنى سيبلى راسه ، وتقلصت يداه بعصبية ، وشعر سيمون بأنه يواجه كشفا سيقرض مجرى التحقيق الذى أصبح طرفا فيه .

وقال سيبلى : — كان لى شريك ، ولكن لا وجود له الآن .

ورفع راسه كمن يتحدى المخاطر وقال :

— كان هو بول هنلى ، هل فهمت الآن دهشتى ؟

فاذا كان بول قد قتل ، الست مهددا انا الاخر ؟
فقال القديس ببطء : ـ شريك فى تشغيل مصنع لانتاج قطع معدنية ..
وانى أشهد لك بالدقة فى سك العملات ...
ـ هل فقدت عقلك يا تمبلار ؟
وجلس القديس فى مقعد مريح وشفط نفسا عميقا من سيجارته وأخرجه من منخاره ، وهو يبتسم بشكل أقلق سيبلى الذى عاد يسأله :
ـ ما هى قصة تلك العملات ؟
ـ ألم تعرف قط أن هناك عملات زائفة ؟ وما رأيك فى مصنع تخصص فى صناعة العملات الناقصة التغذية.
ـ مـــاذا ...
وتجاهل المغامر ثورة الرجل الذى كان متأهب للوثوب عليه وقال :
ـ يبدو لى أنك عسير الفهم والادراك ، يا عزيزى سيبلى ، الى حد كبير ، انظر ... واخرج من جيبه احدى العملات المكسيكية (البيزوس) التى وجدها فى جيب بول هنلى ، وأمسكها بين أصبعيه قائلا :
ـ هذه ما أسميها ناقصة التغذية ، فانها لم تنل حصتها من الفيتامينات الفضية ...
وزاد هياج سيبلى وهو يصيح :
ـ اتجسر على اتهامنا بأننا نصنع عملات مكسيكية مزيفة ؟
ـ افترض ذلك ، بل اعتقد ان ذلك شديد الاحتمال .. وعلى فكرة .. هل تعرف رود ريجينز أيضا ؟
فقال سيبلى وهو يهز كتفيه كمن يطرد عنه ذبابة مزعجـــة .

— نعم .. ولكن الحديث الان عن العملات المزيفة ، لا عن رود زيجينز .

— وهو يشمل رودريجيز ايضا ما دام قد قتل هو الاخر .. ولكن بطعنة خنجر .

— وبدا الرعب فى نظر رجل الصناعة ، ووضع يده على حنجرته مرتعبا ، وفغر فاه دون أن يتمكن من الكـــلام .

وكان سيمون يراقبه بنظراته كمـــا لو كان يراقب حشرة . ثم قال :

— هل وضح الامر فى ذهنك الضيق ؟

— ولكن لماذا البيزوس المكسيكى ؟

ثم فحص القطعة النقدية عن قريب واضاف : — هذا صحيح .

وتمالك سيبلى نفسه بالتدريج ، وتناول سيجارا قطع طرفه بأسنانه واشعله وهو يمضغ الطرف المقطوع بحركة عصبية ، وقال :

— الديك كثير من هذه العملة الناقصـــة التغذية يا تمبلار ؟

— ثلاث قطع .

— حسنا ! دعنى أقل لك ما يلى : لا أدرى كيف حصلت عليها ، ولكن اذا كان هذا هو كل ما تملكه دليلا ضدى ، فتفضل واسمعنى وقع أقدامك .

— واذا كان عندى المزيد ؟

— اذن فسأقودك الى اقرب مركز للشرطة لتسلمها هناك . وأنا اعتبرك نصابا سوقيا ، تهدد بالتشهير وتحاول الابتزاز .

ولم يغضب سيمون ، بل نهض ببطء يثير الاعصاب ،

ولمس صدر رجل الصناعة باصبعه قائلا :

ــ حذار يا سيبلى .. أحرص على حياتك ، فهى أغلى عندى منها لديك .. طاب مساؤك والى الملتقى قريبـــا .

وعندما خرج من الباب قال :

ــ ما الذى ينبغى ان أقوله نقلا عنك الى مـــارى فيرفا ؟

وكان الرد كرة من النحـــاس طارت فى الغـــرفة واصطدمت بالحائط المقابل ، ولولا اسراعه فى احنـــاء رأسه ، لاطارتها .

ومر سيمون أمام حارس البوابة الذى حدق فيه بعداء كامن واستقل سيارته وانطلق ، ولكنه لم يبتعد ، بل قصد الى باب صغير خلف المصنع ، وترك سيارته فى مكان قريب ، ووقف أمام الباب يفكر : أهذه اللحظـــة مناسبة للدخول ؟ أليست هذه فرصة مناسبة ــ أو التقى به سيبلى ــ لكى يقيم ضده الاتهام ؟

ورفع الباب ، فانفتح أمامه ، وتردد لحظة ، ثم دخل فانهار على الفور ، وفقد صوابه .

وعندما أفاق أحس بثقل مقلتيه ، ولم يدر هل الوقت ليل ، أم نهار ، ولكنه سمع صوتا قريبا من اذنه يقول :

ــ يا قـــديس ... يا قـــديس .. أفق ... فانا لا أستطيع أن أحملك .

وفتح عينيه وخيل اليه أنه غارق فى الضباب وقال :

ــ صباح الخير ، ما أجمل تغريد الطيور . أنهـــا لم تغرد فى أى يوم بمثل هذا الجمال .

وقال الصوت مستغربا : ــ أى طيور ؟ ليست هناك طيور ...

ومد يده الى عنقه ، وحاول أن يتحرك ولكنه عجز عن الحركة فسأل محدثه :

ــ أنت صديق أم عدو ؟

ــ صديق ... أنا مندوزا .

وافاق سيمون دفعة واحدة ، وتطلع حوله وتحقق من الظلام المنتشر ، وتحسس بيديه العشب البارد، وتبين أنه يرقد على أرض خضراء .

وقال مندوزا : ــ لقد جررتك حتى هنا .

فيسأله القديس وهو يبذل مجهودا للنهوض :

ــ وماذا تفعل هنا ؟ لقد ضربني أحدهم بماسورة من الرصاص .. ولعلها من الفضة الناقصة التغذية : هل عثرت علي منذ وقت طويل يا مندوزا ؟ وكيف ؟

ــ لقد تتبعتك عند مجيئك الى المصنع .

وكان مندوزا جالسا على العشب بجانب سيمون ، وقص عليه كيف خطر له ، صيانة لنفسه ، أن يحمى القديس تتبعه حتى رآه يدخل منزل سيبلى فاطمأن وعاد ادراجه . ولكن : مارى اتصلت بى تليفونيا بعد ظهر اليوم ، وابدت قلقها البالغ بعد أن بحثت عنك فى كل مكان .

فسأله القديس ، الذى كان قد استعاد كل ادراكه:

ــ هل خرجت ؟

ــ كلا فقد شددت عليها التحذير ، ومضيت أبحث عنك . وقد استطعت رشوة حارس المصنع فأكد لى انك غادرت منزل سيبلى ، فدرت حول المصنع وعثرت عليك فى أرض فضاء .. هناك ..

ــ بعيدا عن مصنع سيبلى ؟

ــ على مسافة مائة متر .

ومسح سيمون جبينه ، محاولا جمع افكاره ، والربط بين الصور التى مرت به ، وبين تصــوره للأحداث واستأنف الرجل الصغير الحجم حديثه :

ــ لقد حاولت أن أحملك ، ولكنك ثقيــل الوزن ، فتوقفت هنا ، وانتظرت .

ــ شكرا يا مندوزا . أنكمعرض لضربة مماثلة . .

ــ يلوح لى يا قديس اننا نواجه خطرا واحدا . . هل أطلعك سيبلى على شيء ؟

ــ كلا ، ولكننى عرفت أنا اشياء .

ــ وماذا عرفت ؟

وضع تمبلار يده فى جيبــه ليحرج منــه قطع النقــود المكسيكية الثلاث ، ولكن جيبه كان خاويا .

ووقف وهو يئن ثم سأل رفيقه :

ــ هل لمحت سيارتى فى الجوار ؟

ــ كلا ، لم تكن هناك سيارات حول المصنع .

وسار على أقدامهما حتى أدركا كابينة للتليفون ، فدخلها القديس وأدار رقم السائق سام وكان احتمال وجوده بنسبة واحد فى المائة ، ولكن الحظ لا يتخلى عن سيمون وقتا طويلا :

وجاء صوت سام يقول : ــ اعتمد على يا قديس. انتظرنى فسأحضر بعد ربع ساعة .

وحضر السائق فى موعده ، واغتبط لقاء زبونه السخى وقال له :

ــ اننى مغتبط لانك تذكرتنى .

ثم تطلع الى مندوزا ، الضئيل الجسم ، الذى كان يفرك يديه استعادة لنشاطه وسأل :

ــ ما هذا ؟ اهو شريكك الجديد ؟ انه فى وزن الذبابة!

وركبا السيارة التى انطلقت بسرعة وسادهما الصمت بعض الوقت . وبدأ مندوزا كالطفل المغتبط بنزهة فى السيارة . وادركتهما سيارة سوداء طويلة ، وسارت بحذاء التكسى ، ولم يهتم سيمون فى بداية الامر ، ولكنه لاحظ تجهم رفيقه الذى أخذ يتلجلج :

ــ انها ... انها ...

وادار سيمون رأسه : فرأى سيدة ترتدى السواد تقود السيارة الطويلة ، وتبلورت فى ذهنه كلمتان : الارملة السوداء !

وابدت المرأة اشارة ، وزاد سام من سرعته فى نفس الوقت ، وقفزت السيارة الكاديلاك القوية حتى لا تتخلف عن التاكسى . ولكن السائق كان قد عقد العزم على الانطلاق . ولكن السيارة الطويلة اصطدمت به ، وقفز سام ليعاين الخسائر وهو يتوعد ، ولكن ذات الرداء الاسود نادت سيمون دون ان تتخلى عن عجلة القيادة .

ــ تعال معى يا سنيور تمبلار .

فقال سيمون بوداعة .

ــ حقا ؟ هل أعتبر ذلك دعوة ؟ أم امرا ؟

ــ تعال .. فانا أريد التحدث معك . اصعد من فضلك .

ومدت يدها الى سام وبها ورقةنقدية ، فهز السائق كتفيه . ولم يتحرك القديس وهو يحاول تذكر هــذا الوجه الذى رآه من قبل ، وعادت اليه الذاكرة فجأة ، فهز راسه ، وقال لمندوزا الذى جمد فى مكانه :

ــ أظن انك عرفتها ؟

ــ نعم .. لا تذهب .

ــ ولمــاذا ؟

ــ كن حــذرا .

وفى هــذه اللحظة وصل جنــدى المرور ووقف بين السيارتين وأراد كتابة محضر : ولكن سيمون تدخل وقال وهو ينزل من التاكسى :

ــ لا ضرورة فهو حادث تافه . فقال الجندى مشيرا بيده : حظا سعيدا .

ثم التفت الى مندوزا الذى بقى فى التاكسى ولما رأى ضآلته قال ضاحكا :

ــ لا تبك يا طفلى ! سيعود اليك أبوك ؟

الفصــل السادس

ساد الصمه داخل السيارة ، الكاديلاك ، فى البداية ، وجلس سيمون مسترخيا وهو يتأمل فخامة السيارة ، ووضع اصابعه على مفتاح الراديو ، فقالت المرأة :

ــ باستطاعتك فتحه اذا أردت .

ــ ألست أنت التى كانت تبكى على جثة رودريجيز ؟

ــ نعم .. أنا ، ولكننى لم أعد أبكى ، فقد انقضى وقت الدموع والنحيب ، وحان وقت الانتقام .

فقال القديس وهو يشعل سيجارة : هذه عبارات قوية .

وأخذت المرأة السيجارة من بين شفتيه ونقلتها الى فمها ، بهدوء ، وكان وجهها شاحبا ، لا يحمل أى أثر للاصباغ ، الا شفتاها ، وعندما توقفت تنتظر اشارة المرور . التفت اليه بعينين قائمتين وسألها : هل أنت متزوجة ؟

وأجابت بعد أن استأنفت السيارة سيرها :

ــ نعم . . . أنا دولوريس رودريجيز .
ــ لابد أن مقهى هابرايدر ربحا وفيرا : كاديلاك للسيدة ، وباكار للزوج ؟
وهزت رأسها وأجابت : انك تخطىء الظن يا سنيور تمبلار ، فان عملية المقهى كانت خاسرة . . . ولكن المقهى كانت واجهة لعمليات أخرى .
ــ أتعنين أن السنيور رودريجيز . . .
ــ كان أحد كبار النصابين الذين عرفتهم المنطقة منذ زمن طويل .
فصفر سيمون تعبيرا عن الاعجاب ، فقد كان صوت المرأة التى ترتدى ثياب الحداد ، يحمل فى طياته الاستحسان ، واستأنفت الحديث :
ــ ولم يكن هذا النصاب شيئا بجانب شخصيته الفنية . فقد كان رودريجيز ، بلا منازع ، أمهر حفارفى الولايات المتحدة . ولكن ما من أحد كان يشك فيه . . . فأى شرطى لا يمكن أن يشك فى صاحب مقهى ؟
وهكذا رفع الغطاء وتكشف السر .
ولكن هل تكون هذه المرأة ، ذات الرداء الاسود ، عدوة ؟ أو أنه أخطأ الظن ، فليست هناك أى علاقة بين السنيورة رودريجيزوبين المرأةالتى هددتهبالتليفون؟
وقالت المرأة : ــ يجب أن تصدقنى يا سنيور تمبلار ، وان تساعدنى على الانتقال . . فى أى شىء تفكر ؟
ــ افكر فى أن زوجك ، يا سنيورة ، كان يستخدم مواهبه فى حفر القوالب اللازمة لصنع العملات المكسيكية .
ــ نعم يا سنيور ، وكان بوسعه أن يكون له مركز كبير لانه كان موهوبا . ولكنه كان يفضل . . .

آه ! حلت لعنة الله على اليوم الذى التقيت به فى طريقى ! لقد كاد يقع فى أيدى الشرطة فى المكسيك منذ بعض الوقت ، ولكننا هربنا ، لكى نبدأ من جديد هنا .

— بفضل بول هنلى ؟

— بفضله وفضل الاخر ...

— الاخـــر ؟

وشدت دولوريس يديها على عجلة القيادة وهى تزيد من سرعة السيارة كأن ذكريات الماضى القريب تطاردها وقالت :

— لم أكتشف الامر الا فى الايام الاخيرة .. صدقنى يا سنيور تمبلار . واذا كان كل ما يقال عنك صحيحا ، فيجب أن تساعدنى . اننى أعرف من قتل زوجى ، وأعرف من الذى سأقتله بدورى ...

وبحركة تهدئة ، وضـــع تمبلار يده الطويلة القوية العضل على عجلة القيادة بجانب يد دولوريس قائلا :

— ألم يعلموك يا سنيورة أن القضاء هو المختص بمعاقبة الجانى .

فهزت كتفيها ، فهى تسخر من القضاء ، وكانت تتوقع من ســيمون أن يتفق معهـــا على ضرورة الاسراع بالاقتصاص من المجرم . وقالت :

— لقـــد رأيتك عندما حضرت وانحنيت أمام جثـــة رودريجيز ، وسألت بويبلو .. هذا الكلب القذر .. ولم يشأ أن يجيبنى فى البداية . ولكن لى قدرة على اقناع الكتومين . ولك أن تسأل بويبلو عندما تراه .

فوعدها سيمون بابتسامة بليغة قائلا :

— لن يفوتنى ذلك !

— هل تعرف سيبلى ؟

ــ نعم .. اعرفه !

فضحكت بتوتر واضافت :

ــ انك لم تفهم اذن .. ومع ذلك .. الم تكن معمارى منذ حضورك بعد ساعات من مقتل بول هنلى ، مطعونا فى الظهر ؟

فقال القديس : ــ اريد أن أعرف من الذى قتل بول هنلى ومن الذى قتل زوجك ؟ لا تدعينى انتظر طويلا .

ــ من ؟ ... مخلوق لا يخطر على بالك الشك فيه ... ولو قلت لك اسمه لما صدقتنى .

وقبضت على عجلة القيادة بشدة كما لو كانت تقبض على رقبة المخلوق الذى تتهمه وقالت :

ــ اقسم لى على الانتقام لرودريجيز،ولا تضيعلحظة واحدة .. لا تلجأ الى البوليس . والقضاء .. أضرب ضربتك ، والا فستكون انت ...

وقاطعها صائحا : ــ انبطحى !

ماذا ؟

ولم تكمل عبارتها فقد دوى طلق نارى من سـايرة حاذت السيارة الكاديلاك ثم تعدتها بسرعة كبيرة ، وكان القديس قد غاص فى السيارة مع امساكه بعجلة القيادة ، وقد نجا بأعجوبة ، مرة أخرىبفضل يقظته وسرعة تفكيره ، ونهض وأصـلح من توجيـه السيارة ، ولكن السنيورة دولوريس كانت قد هوت ، ومالت راسها على نافذة السيارة . وأوقف القـديس السيارة . لم يلفت الحادث أحـدا ، ومال عليها قائلا : ــ تكلمى بسرعة . . .

وكانت الحياة تفارقها .. وعاد يلح :

ــ يجب أن تتكلمى ، والا فلن أستطيع ...
ــ لن تصدقنى .. أنها مخلوقة شريرة ...
ــ دولوريس ...
ــ أنتقم لنا .. يا تمبلار ..

وسقطت المرأة ، وحار القديس فى امره ...فلو بقى فى مكانه لتعرض لاسئلة الشرطة ، واضاعة الوقت .. هذا الوقت الثمين الذى سيفيد منه الخصم . فى حين انه يجب التحرك فورا ، دون اضاعة لحظة واحدة... واسند دولوريس الى ظهر المقعد ونزل هو من السيارة، وكان الليل ينشر الويته ، ويحمى تمبلار من الانظار . وتسلل تحت الاشجار وتصاعدصوت راديو فى الجوار، وبكاء طفل ثم صوت امرأة تتشاجر مع زوجها .

وتخيل تمبلار دهشة هؤلاء الذين سيعثرون على السيارة الكاديلاك والمرأة المقتولة ، ولكنه ازاح الفكرة ذهنه ، وأسرع فى السير ، وعيناه تشع ببريق خطر .

وعندما وصل الى بيته دخل الىالحمام أولا ، وأطال التطلع الى ملابسه أمام المرآة لكى يتأكد من أنه لا يحمل أى أثر من لقائه مع دولوريس .. لا أثر للبودرة ، أوأى نقطة من الدم .. لا شىء يدعو للاشتباه حتى اذا حضر رجال الشرطة الى منزله ، لما وجد البوليس أى دليل .. ولكن من الذى سيبلغهم ؟ المخلوقة الشريرة ! المخلوقة الجهنمية التى تعمل فى الظلام ... واخذ سيمون يعد على أصابعه وهو واقف أمام المرآة ..

من قتل بول هنلى .. رودريجيز .. دولوريس ... وكدت أنا أيضا الحق بهؤلاء .. انها الارملة السوداء .. المخلوقة الشريرة .. التى يستحيل الاشتباه فيها ...

وأبدل ثيابه ، ثم عاد الى الصالون ، واعد لنفسه

كأسا من الويسكى ، وشربه دفعة واحدة ، واتجه الى الممر المؤدى الى الغرفة المنفصلة . ودق بابها بطريقة متفق عليها ، ولم يتلق ردا . فأعاد الطـــرق ، وأخيرا سمع صوتا يقول :

ــ من بالباب ؟

فتنفس الصعداء وأجاب :

وأدارت المفتاح ، وفتحت الباب ، ومر بيـــده على شعرها المتوهج أكثر من مرة .

.. وقالت : ــ لقد طال هـــذا اليوم .. اين كنت يا سيمون ؟

ــ قمت بزيارة بعض الاصدقاء ... وقد استقبلنى صديقك سيبلى بحفاوة بالغة ... وياله من رجـــل ظريف !

ــ كف عن المزاح .

ــ وانت .. غطى نفسك قليلا .

فارتدت الروب دى شامبر ، بحياء ، وكان واسعا ، فطوت أكمامه على قبضتيها .

ــ لقد وجدت هذا الروب على المشجب . وعجبت لحيطتك ، فانك تتوقع استقبال مدعوين بدون حقائب.

فأجاب مبتســـما : ــ ان مهنة المغامر تدعـــو الى الاحتياط التام .

وقرفصت على الاريكة وابتسمت لسيمون ودعته الى الجلوس بجانبها . فقال :

ــ يجب عدم الاقتراب من شعلة برميل البارود .. والان يا مارى : هل تعرفين دولوريس ؟

وبدأ القلق فى عينيها الجميلتين وقالت :

ــ أما زالت هناك اسئلة ؟

ـ اننى بحاجة الى اجوبة . واقسم لك اننا لن نتحدث عن هذه الموضوعات عندما ينتهى كل شىء ، وسنذهب : أنت وأنا لقضاء يوم فى جزيرة كونى ..

وهزت منكبيها وأجابت : ــ نعم ، أعرف دولوريس ، وهى تعيسة ، وكانت هى ورودريجيز يتشاجران أغلب الوقت . والان ...

ــ لن تتشاجر مع أحد بعد الان .

ــ هل جننت ؟

ــ كلا . لقد كانت دولوريس تعرف الكثير .

وهنا لزمت مارى الصمت ، وحـــدقت فى الارض ، وتجهم وجهها ثم رفعت بصرها بعد برهة وقالت : ــ ألديك فكرة يا سيمون ؟

ــ للاسف ان رأسى تشتعل دائما بأفكار كثيرة .. هل تعرفين ماذا نفعل ؟ سأتصل تليفونيا بالمطـــار ، وسأحجز مقعدين لصباح الغد ، وبعد اثنى عشرة ساعة سنسبح فى مياه الباسيفيك .. بل لو أردت فباستطاعتنا الذهاب الى هونولولو . اتعرفين هونولولو ؟

فشبكت يديها ، وحدقت فيه كمن تسأله عما إذا كان جادا ، وتنهد هو وهز رأسه :

ــ ولكن هذا مجرم على طالمـــا لم اضع يدى على مخلوقة الشر ، وهى الاسم الذى اطلقته على القاتل .

والقت مارى نظرة خائفة حولها ، وسألت بصوت خافت : ــ والارملة السوداء ؟

ــ اننى انتظرها .

ونهضت الشابة وصرخت :

ــ هنـــا ؟

ــ فى أى مكان وجد فيه .. هكذا قدر أن نلتقى ،

هى وأنا . فى كل مناسبة . وبغير مناسبة ، ولن تنتهى هذه المواعيد الا بموت أحدنا .

ـ سيمون ! . . .

ـ موتها هى بالطبع . . هيا يا مارى يجب أن تنامى الان لتريحى أعصابك .

ـ لن أستطيع . اسمح لى بالبقاء هنا ، بالقرب منك .

ـ ولكننى خارج الى موعد .

وقامت وهى تتمتم « حسنا . . . حسنا . . معذرة » .

واتجهت الى غرفتها ولكنها ترددت لحظة على بابها وكررت الاعتذار .

وحدث نفسه بعد أن قفلت باب غرفتها : آه لو تعرفين مع من تواعدت . .

وادار قرص التليفون وطلب التحدث مع سام ،ولكن صوتا أجابه :

ـ اننا نتوقع حضوره من لحظة الى أخرى ليتمون بالنزين ، هل هناك رسالة له ؟

ـ نعم . . أخبره أن يحضر الى الفردوس .

ـ الفردوس ؟ انك تسخر منى ، وهذا أمر غير لائق .

ـ اطمئن فسيفهم سام . . ولا تنسى ابلاغه الرسالة ، وان يملأ كل احتياطيه قبل أن يحضر ليقابل القديس بير .

واستلقى سيمون على الاريكة . وأغمض عينيه ونام بعد ثلاثين ثانية . . وانقضت ساعتان قبـــل أن يدق جرس الباب ، وعندما فتح الباب دخل سام وهويسأل :

ـ أهنا الفردوس . . بملائكته وقديسيه ، وقطـــع غيار لالات النور والاكاليل ؟

فقال سيمون ضاحكا : ـ شكرا على مجيئك .

ـ انا الذى أوجه الشكر ، فمنذ أن التقيت بك أصبحت

الحياة ذات مغزى ... وقد ملأت كل الاحتياطى : السيارة ، وهذه (ودق على بطنه) ، وهذا ، (وأظهر مسدسا ضخما) .

ــ أراهن على أن هذا المسدس من عهد حرب التحرير ، على الاقل :

ــ هذا صحيح .. وكان جدى يستعمله ، ولكنه يصيب الهدف تماما .. هل تريد ..

وأشهر سام المسدس ، فأشار تمبلار بيده قائلا :

ــ لا داعى لذلك .. فأنا اثق بك .

ــ الى أين نذهب يا قديس ؟ هل هناك عراك ؟

ــ ليس هذا مؤكدا ولكنه جائز .

ــ اتمنى ذلك .. هيا بنا .

ونزلا حتى اذا خرجا من العمارة توقف سيمون مشدوها فقد رأى سيارته واقفة بحذاء الرصيف ،وسأله سام بدهشة :

ــ ماذا ألم بك ؟

ــ لاشىء .. ولكنى يجب ان اضىء شمعة للقديس انطوان .. ولكننى سأضىء قبل ذلك شمعة للقديس خريستوف .

واقترب من سيارته وفحصها طويلا ثم قال :

ــ الامانة شىء بديع .. اننى افضل سيارتك التاكسى يا سام .

واستقل السيارة ذات اللونين الاصفر والاسود . وسأله سام :

ــ الى اى اتجاه ؟

ــ الى مقصورة التليفون التي جئتنى فيها المرة السابقة اذ ينتظرني صديق بالقرب منها .

وكان مصنع سيبلى هو وجهته من جديد هذه الليلة . وعندما اقتربا من البناء الطويل،قام سام بالدوران حوله بناء على أمر سيمون ، ولم ير اى ضوء ينبعث من المصنع أو من مسكن رجل الصناعة .

وقال القديس للسائق بعد الجـولة الاولى : تابع السير . وعندما وصلا الى الباب الصغير الذى تلقى خلفه الضربة على أم رأسه ، تحسس سيمون جمجمته، ولكن هذه الذكرى القريبة لم ترجعه عن عزمه . ووقفت السيارة ، ونزل منها تمبلار ، واشار الى زقاق مسدود فركن سام السيارة فيه ولحق بالمغامر ، الذى القى نظرة قصيرة ، وأخرج من جيبه بعض الالات ، واختار احداها وأدارها فى قفل الباب ففتح ، ومد أصابعه بحثا عن تماس الانذار ، فقطع سلكه .

وفى اللحظة التى تخطى فيها الباب ، فكر فى الخطر الكبير الذى يتهدد رفيقه الشاب وقرأ الاخير أفكاره ، فوضع يده على ذراع تمبلار وقال له :

ــ لا يهمك أمرى .. فأنا وحيد فى هذا العالم فمهما كان مصيرى لن يحمر وجه أمى من الخجل ، لأننى لم أرها قط .

ودخلا بعد أن أضـــاء سام بطارية كهربائية وقال سيمون :

ــ اننى معجب لانك احتطت لكل شىء .

وتقدما ببطء واجتاز فناء ضيقا . واخذا يبحثان عن مدخل ، واكتشفاه بسرعة ، ولكن سيمون كان يخشى الوقوع فى فخ ، فاتجه الى نافذة قريبة ، منخفضـــة الارتفاع وحطم زجاجها وفتحها وقفزا الى الداخل.وبدأ سيمون فى البحث .. متنقلا من ورشـة الى أخرى ، وهو

يدقق فى فحص اجهزة القياس وغيرها ، ولكنه لم يعثر على ما كان ينشده . ثم وصل فى النهاية الى باب مغلق بالمفتاح ، واستغرق فتحه له بعض الوقت ، ثم دخل وزميله الى غرفة تنتشر على جدرانها الرفوف ، واحس سيمون بأنه سيكشف سرا ، ووضع يده على محتويات أحد هذه الرفرف .. ودوى صوت يقول : — ارفعا ايديكما !

وكان الصوت قد انبعث من فوق رأسيهما . وبادر القديس الى رفع يديه، وتبعه سام ... وبدا فودسيبلى واقفا فى ممر علوى يهددها بمسدس اوتوماتيكى، وعلى شفتيه ابتسامة شريرة .

وقال مزمجرا : — كنت أتوقع هذه الزيارة .

وقال سيمون بدون انفعال : — وأنا ايضا كنت آمل فى لقــائك .

— ولكن ليس بهذه السرعة ، لا تخفض ذراعيك والا اضطررت ان ارسم ثقبا فى جاكتتك ...

وهو شىء مؤسف .. لا تتحرك يا قديس ، أما أنت أيها الشريك .. هل ترى هذا الرقم ... أجذب الرف نحوك .

وأمر القديس ، رفيقه بأن يطيع الامر ، انفتح الرف عن سلم يؤدى الى ممر علوى . وقال سيبلى وهو ينزل السلم ، شاهرا مسدسه :

— ها أنت ترى أنه ليس هناك ممر .. فهذا الممر يؤدى الى مكتبى ، وهو أمر يعرفه كل عمالى .

وابتسم سيمون وسأله : — وماذا عن القبو الذى يوجد تحته ؟

واضطرب سيبلى ، وبلع ريقه بصعوبة وقال :

ــ أى قبو ؟ . . . هل جننت !

وبسرعة خاطفة وجه سيمون ضربة قوية الى ذقن سيبلى ، قبل أن يتمكن من اطلاق النار فسقط بين ذراعى سام ، الذى سأل سيمون :

ــ ماذا نفعل به يا رئيس ؟

ــ احمله الى أعلا لكى نتحدث معه .

وكان يعنى بكلمة أعلا ، المكتب الذى يؤدى اليه السلم ، وسرعان ما فتح سيبلى عينيه وهو يئن . وعندما رأى تمبلار منحنيا عليه ، أحمر لون وجهه ، وجمع أعصابه ليقفز ولكن سيمون قال له بوداعة :

ــ اشكرنى . فقد كان بوسعى الا أدعك تفيق الا غدا .

وكان قد جذب مقعدا وجلس عليه فى مواجهة رجل الصناعة ووقف سام فى الخلف استعدادا للتدخل .

ــ اريد معرفة الحقيقة يا سيبلى ، فورا ، وانا لست حقودا والا رددت لك عدوانك بالامس على .

ــ عدوانى ؟

وبدت الدهشة فى نظرات الرجل وتتبعه سيمون لحظة ثم ارتسمت ابتسامة على شفتيه وقال :

ــ حسنا فلنستبعد هذا السؤال ، ولنستبعد أيضا موضوع النقود المزيفة ، وما أريد معرفته هو القاتل . . الذى قتل بول هنلى ، وطعن رودريجيز بالخنجر ، وأطلق الرصاص على دولوريس .

وانكمش سيبلى فى مقعده كمن تلقى ضربات قاصمة ولجلج :

ــ اقسم لك . . لست انا القاتل ، لا تعففا فاننى كنت أود أن اقتل بول هنلى عن طيب خاطر .

ــ أتقتل شريكك ؟

ـ أنه وراء كل هذه الدسائس . والمسئول عن كل ما حدث ، ولولا بول ما كنت أنت هنا ولنمت أنا ملء جفـــونى .

ـ هل أسجل ذلك كاعتراف ؟

ـ اذ شئت . ولكنك لن تجد الادلة .

ـ لن اقول لك أكثر من ذلك .
خمنت ؟

وهنا تمالك سيبلى نفسه ، واعتدل فى مقعده وقال متحديا للقديس :

ـ لن اقول لك أكثر من ذلك .

وتناول سيمون سيجارة من علبة موضـــوعة على الطاولة واشعلها ونفخ دخانها فى وجه رجل الصناعة، وقـــال :

ـ أعلم اننى لن أجد شيئا هنا ، لانك اتلفت كل شيء ، وكان فى حوزتى ثلاث قطع من البيزوس المكسيكى ، ولكنهم سرقوها منى . الا تجد غرابة فى هذه الوقائع يا سيبلى ، فان كل الاثار تنتهى عندك .

ـ أكرر لك أن لا يدلى فى الاغتيالات،ولا فى دسائس بول هتلى . ولقد زرت أنت المصنع بجميع أقسامه ، فماذا وجدت ؟ لا شيء . فماذا اذن ؟

ورفع سام يده بالمسدس الضخم الذى كان يمسك بزناده ، استعداد لقتل هذا الكاذب . ولكن القديس هز راسه بالرفض . وسأل صاحب المصنع :

ـ لقد كنت يا سيبلى عند مارى ذلك المساء ، فهل كان بول حيا عندما غادرت ؟

ـ كان بول حيا . . يضحك ويمزح .

ــ من صاحب الفكرة فى الاتصال بى تليفونيا ؟ أنت ؟ أم بول ؟ أم مارى ؟

ــ كلا . بل هى نانسى ريد . فقد تراهنت مع مارى على استقدامك . وكان بول يستشيط غضبا .

ومال بول الى الامام وقال :

ــ اننى أصدقك يا سيبلى . والان أشرح لى طريقة عملك ، فمن كان يوزع العملات النقدية المصنوعة هنا ؟ أهو رودريجيز ؟

فتمتم سيبلى : ــ أظن ذلك .

وشد سيمون قبضتيه ، فقد كان يقترب من الحقيقة . أما سام فانه وان كان لم يفهم شيئا الا أن المشهد كان يشده . وقال سيمون : ــ وكيف ذلك ؟

ــ كلا رودريجيز صديقا لكل المكسيكيين المقيمين فى المنطقة ، وكان يعنى بشئونهم ...

كلا ... كلا !

وصرخ بشدة وحاول القديس أن يجذبه ليقيه الرصاصة التى أطلقت عليه من الخارج ، ولكن الوقت لم يسعفه ، فقد كانت مفاجأة مذهلة ، ودوى الطلق النارى عاليا ، وسقط سيبلى ، وقفز تمبلار الى النافذة ، وسمع هزة كبيرة وضجة فى فناء المصنع ، فهز منكبيه محدثا نفسه :

لقد هربت الارملة السوداء مرة اخرى .

والتفت الى سام وقال : ــ يجب العثور على دول وتأمل جثة سيبلى التى تسيل منها الدماء وقال : ، هذه ضربة متقنة .

ولكن المأساة لم تكن قد تمت ، فقد دوى المصنع

بالانفجارات واهتزت الارض وسمعا صراخا ونداءات . فقد اشتعلت النار فى كل شىء .

وهز القديس رأسه محدثا نفسه : ان الخصم لا يضيع وقته ، فقد دمر كل أثر بعد « سيبلى » فاحترق المصنع .

وأسرع مع سام متخطيا الجثة . وكانت صفارات رجال الاطفاء تخرق سكون الليل . ونداءات الاستغاثة تتصاعد من كل مكان . واتجه سيمون الى نافذة وفتحها ، وكان السكون يخيم على هذه الجهة وكأنها واحة ساكنة وسط الضجيج .

وقال سيمون : يجب أن تقفز .

— هلم يا رئيس ، وسأتبعك .

وقفز سيمون بمرونته المعتادة . ولكن سام كان يئن عند سقوطه على الارض ، وسار يعرج خلف سيمون واستقلا التاكسى ، ووصلا الى منطقة الأمان وسط المدينة وكان النهار قد أشرق .

وعندما وصلا أمام بيت تمبلار ، لمس الاخير ذراع رفيقه ، موجها نظره الى سيارته المنتظرة أمام الباب . فقد وقف بجانبها جندى المرور ، الذى سأل سيمون عند اقترابه منها قائلا :

— هل هذه هى سيارتك ؟

— لا أدرى بعد . . . لمـــاذا ؟

— لقد دوى صوت يشبه انفجار المطاط .

وأشار الى احدى عجلات السيارة المفصولة عنها ، وقد بدا « الاكس » مفصولا . . وعلق الجندى بقوله :

— ان الذى قام بهذا المزاح لا يحب كثيرا صاحب هذه السيارة فقال المغامر : وهذا هو رأيى :

وغمز رفيقه بعينه ودخل الى العمارة . وما أن أقفل

باب مسكنه حتى قصد الى غرفة مارى ولكن عبثا راح يدق الباب . فلم يتلق ردا رغم الحاحه . فعـــاد الى الصالون حيث وجد مظروفا تركته الشابة له . ففضه وقـــرأ :

« معذرة فاننى لا احتمل الحياة مع القلق . كما أنه خطرت لى فكرة أردت التحقق منها » .

وذهب لينام . تاركا التفكير فيما حدث للمستقبل .

الفصل السابع عشر

كان القديس نائما عندما دق جرس الباب ، وتنفس الصعداء عندما رأى مارى وقال لها :

ــ كنت أخشى عليك يا فتاتى الصغيرة .

فتطلعت اليه ثم ارتمت على صدره ، فضمها اليه وقتا طويلا .

وتمتمت : ــ عزيزى سيمون : هل كنت عند سيبلى الليلة الماضـــية .

فنحاها جانبا وحدق فيها مبتسما :

ــ وهل كانت تلك الفـــكرة الكبيرة التى جعـــلتك تخرجى يا مارى ؟

فهزت رأسها بالنفى ، فانها لم تذهب الى مصنع سيبلى ، ولكنها ذهبت الى خالها . وأضافت : ــ

ــ كنت اشـــك فى انه يعرف الكثير ممـــا لا يريد مصارحتى به . وأنا أعرفه جد المعرفة .

وقد وصـــلنا خبر حريق المصـــنع ، اذ تلقى مكالمة

تليفونية .. هـل كنت هناك يا سيمون ؟ واجلسته وامسكت بيديه وسألته :

ــ هل أنت الذى احرقت المصنع ؟

فضحك بسخرية ... اذ ما فائدته من هذا الحريق ... وقال لها :

ــ لقد دمرت النار كل شيء .. الآلات ، والمخازن ، والاكليشيهات .. كما مات سيبلى .

ــ مـات ؟

وشعت عيناها الجميلتان ببريق الخوف ، فها هى جثة أخرى على طريقها ، فمنذ تلك الحفلة التى اقامتها فى بيتها ، وهى تجلب الموت .

ومدت يدها بتوسل ، فقد أصبحت تضيق بهـذه الاحداث التى لا نهاية لها .

وسألها سيمون : ــ ما الذى علمه من مندوزا ؟

ــ انه يزعم أن سر العملية فى مقهى هابرا ، حيث تكمن رأس الافعى .. وقد كان رودريجيز هو صاحب هذا المقهى .. وكان بول وسيبلى على علاقة به ..

وضحك سيمون .. ان هذه الفتاة تحاول أن تعلمه مهنته .. وعادت تقول باصرار :

ــ انصت لى يا سيمون .. اذا كان بول وسيبلى يصنعان العملات المكسيكية الزائفة فقد كانا بحاجة الى موزع .

ــ هذا صحيح . يا صغيرتى . ففى كل مصنع ، حتى ولو كان لسك النقود المزيفة توجد بصفة عـامة ثلاثة فروع رئيسية : العقل المفكر ، ويتمثل فى رودريجيز بفنه فى الحفر ، والصناعة ويقوم بها هنلى وسيبلى ويبقى التوزيع .

ـ كان المقهى هو مركز التوزيع ، ولا ادرى الطريقة ولكن من هنـــاك كانت العمـــلات المزيفة تتسرب الى الاســـواق .

وأشعل تمبلار سيجارة وهو يتطلع الى الفتاة التى تريد تلقينه البديهيات ، ولكنه مضى فى المناقشة ، فقال :

ـ ما دام رودريجيز قد مات ، ولحقت به زوجته دولوريس ...

ـ لانهم يريدون ابعاد شبهاتك عن مقهى هابما . ولكن رودريجيز لا يمكنه أن يقوم بدور الفنان والتاجر أو الحفار والموزع .. اليس هذا بديهيا ؟ اذن ، فهناك شخص ثالث .

ـ لم أشك قط فى ذلك . بل يخيل الى أن هذا الشخص هو ابعد الناس عن الشكوك .

ـ يجب التحرك بسرعة يا سيمون ، والا بقينا تحت التهديد دائما .. أنت وأنا .. وها أنت قد رأيت ما حدث لسيبلى الليلة الماضـــية .

ـ أهذه هى النصيحة التى أفضى بها اليك هذا الخال العزيز الضحل ؟

ـ نعم .. انه يركز تفكيره على المقهى ، وكان يلاحظ دائما مجىء رجال الى المقهى لينفردوا برودريجيز فى زوايا المكان . ثم يختفون .

ـ هـــذا محتمل .. ؟ ؟ ؟

وتناول دليل التليفون وأخذ يبحث عن بعض أرقام فى تردد واضح ثم عاد الى مارى وقال لها :

ـ هلمى بنا .

فحدقت فيه بنظرة خائفة وقالت :

ـ هل لابد من مرافقتى لك الى هناك .؟

ـ طبعا يا ابنتى . فلا خوف عليك ما دمت فى صحبتى .

واضطربت قليلا تحت نظرات الرجل ، وزفرت نفسا طويلا ، نفس المراة المقهورة وقالت : ـ حسنا .. هيا بنا .

وعندما خرجا من العمارة كانت الشمس تضفى ضوءا مرحا على المدينة . ورأى ذراعا يمتد من نافذة سيارة تاكسى ، مشيرا اليهما ، وتبين القديس انه سام . فاقترب منه ....

وقال السائق : ـ ظننت أنك بحاجة الى .

ـ هذا هو الواقع ؟ ولا شأن لنا بالعداد .

وقبل أن تنطلق السيارة لاح خيال انسان يجرى نحوهما . وهو يشير بيديه بحركات مضحكة حاملا مظلة .

وقال القديس : ـ انه مندوزا .

ووصل الرجل بأقصى سرعة تحتملها قدماه الصغيرتان ، ووقف يبتسم معتذرا ، ويفرك يديه بنشاط وقال :

ـ لقد خمنت بما اعتزمتاه ، وسأصحبكما .

فقال سيمون معترضا : ـ ربما صادفنا معركة .

ـ سيارى لدى .

وتدخلت مارى لتقنعه بالعدول عن الحضور ، ولكنه أصر على الاشتراك فى الكفاح .. الكفاح الاعلى كما سماه ، لانه كان على ثقة بانتصار القديس .

ودفع سيمونا الى الداخل ، وجلس على المقعد الصغير المتحرك فى السيارة .

واخرج من جيبه ورقة مكرمشة واعطاها للقديس .

وقرأ هذا : « اننى واقعة تحت تهديد شديد . بحاجة اليك . اواجه خطر الموت . النجدة » .

واعاد القديس اليه البرقية ، وتطلع اليه مندوزا بنظرة الكلب القلق .. وقال يشرح الامر :

ــ انها شقيقتى يا قديس .. الا تقبل ..

ــ اختك ؟

وتطلع الى مارى بدهشة . وفهمت هذه ما يريده القديس .. فقالت :

ــ لقد ماتت أمى ، وكان لها أخ واخت .

وقال مندوزا : ــ اننى املك ثروة صغيرة ، كما ان أختى ثرية .

ــ لا تعتمد على .

ووصل التاكسى الى المقهى وكان مغلقا ، وعليه لافتة . ولكن القديس لم يعبأ فطرق الباب بقبضته ، وسرعان ما فتح الباب الى نصفه ، وأطل من فتحته وجه رجل ، ومد سيمون قدمه الى الأمام ودفع الباب واحتج الرجل قائلا :

ــ سأطرد من عملى يا سنيور .

ولم يستمع اليه سيمون ، بل نحاه جانبا ، واجتاز الردهة ، ودخل الى صالة خافتة الضوء . وأقبل السنيور بويبلو كالشيطان ، فقال له القديس :

ــ أريد أن أتحدث معك .

ــ أنا رهين اشارتك بالرغم من أنه ليس عندى ..

ــ بل هناك موضوع للحديث .

وجذب مقعدا وجلس عليه ، ودعاه الى الجلوس معه دون أن يلتفت خلفه .

وتطلع بويبلو الى مارى ومندوزا بسخرية غريبة ، وتناول أربعة كؤوس وبضع زجاجات من الخمر وقال : — هل لك ..

— عندما أراك تشرب اولا .

ولم يحول سيمون نظرة عن الرجل ، الذى صب الأقداح وبدأ يشرب .

وقال سيمون : — انك طموح يا بويبلو .

— لست الا مديرا لهذا المقهى ، وها أنا لا اعرف كيف سأدير حياتى مستقبلا ، فقد كان رود ريجيز ولى نعمتى . وقد مات وسأضطر ..

— ستواصل عملك فى التهريب ، اذا لم يعترضك أحد . وقد جئت من أجل ذلك .

— اننى لا افهمك يا سنيور .

فمال سيمون الى الخلف وأشعل سيجارة ، بينما كان مندوزا كأس الويسكى الذى قدمه له المدير .وبدت خصلات شعر مارى كأنها مصدر الضوء وسطالظلام الخافت ..

وقال القديس : — الا تفهم يا بويبلو ؟ هناكاناس يسعدون بعملهم كعمال محال الجزارة ، او كخدم المخابز ، أو موظفين بمصانع الشمع .. أو مصانع النقود المزيفة ..

فلجلج الآخر الذى كانت تحاصره عينا القديس الزرقاوان :

— ولكنى مازلت لا أفهم ما تعنيه .

— سأتابع الحديث ... وهناك آخرون يريدون أن يكونوا اصحاب محال للجزارة ، أو اصحاب مخابز أو يريدون أن يكونوا اصحاب مصانع للشمع ..! أن

يحتكروا مدمنعا للنقود المزيفة . . هل بدأت أن تفهم أيها الطموح بويبلو ؟ يخيل الى انك وقعت فى مأزق شديد .

فزمجر الاخر : اتظن ذلك ؟

ــ أنا متأكد .

ولو أن « بارتريشيا هولم » كانت موجودة فى هذه اللحظة لفطنت الى ما يضمره القديس رغم تظاهره بعدم الاكتراث . ولكن باتريشيا كانت فى أوربا فى هذه اللحظات . ولم تكن مارى فيرفا بقادرة على استكناه انفعالات القديس الخفية .

ونهض بويبلو قائلا : ــ وهل مازلت فى المأزق ياسنيور .

وكان الرجل المكسيكى قد تحرك بسرعة مذهلة ، فصوب الى الثلاثة مسدسا اتوماتيكيا ثقيلا . وصاح بمندوزا ، الذى أتى بأشارة مذعورة . ــ لا تتحرك .

ولجلجت مارى : ــ يا الهى . .

واجاتها بويبلو بضحكة مرحة . . وقال القديس : ــ أحسنت يا بويبلو . . فأنا الذى وضعت نفسى فى المأزق الحرج .

ــ اليس كذلك يا سنيور . . . ها انت ترى اننى لست طموحا فحسب ، بل اننى حاسم وهذا المسدس بجعلنى اقنع المترددين .

اسلم لك بما تقول .

ــ قفوا . . .

وقرن الامر باشارة حازمة . . سنتابع الحديث فى مكان اكثر هدوءا . فان طلقة واحدة أو عــدة طلقات قد تلفت الانظار هنا . امــا حيث نقصــد الان فلن

تسترعى انتباه الفضوليين .

قال هذا وهو يحدق فى مارى وخالها .

وقادهم ، تحت تهديد المسدس ، الى الصالة الخلفية ، وجعلهم يسيرون فى ممر طويل . وذهلت مارى وهى ترى القديس يسير بهدوء ، وقد وضع يديه خلف عنقه ، دون أن يبدى أى اشارة للدفاع . فهل هذا هو المغامر الذى طالما سمعت عن مغامراته وتساءلت فى نفسها : أهذا هو القديس الذى قيل عنه انه كفيل بأن يحول كل المواقف الى صالحه — أهكذا يستسلم كالأغنام ، وينقاد لشقى مجرد أنه مسلح

وأحست مارى بخيبة الامل ...

ودخلوا الى غرفة منعزلة مظلمة ، وصرخت مارى من الفزع ، فقد كانت هناك عدة نعوش للموتى ...

وقال القديس الذى كان يواجه بويبلو :

— لقد عمل حسابا كل شىء .

— كل شىء يا سنيور .

— يالها من فكرة ظريفة ، فلا شك أن هذه الصالة هى لعمل بروفات على النعوش ، فيجرب كل انسان النعش الذى يناسبه وهكذا وجدت نعشا لرود ريجيز بسهولة .

— تماما يا سنيور . اختر لك النعش الذى يناسبك وسنقوم بخدمتك بعد دقائق وسنعفيك من دفع النسبة المئوية عن الخدمة .

ونادت مارى القديس وهى تزفر : — سيمون .

فقال بوداعة : — هدئى من روعك يا ابنتى ، فان الانسان لا يموت الا مرة واحدة . ومن حظنا أننا وقعنا على أظرف مقاول للدفن ، وللنقود المزيفة ، صادفته

فى حياتى .. فلو أنه مأتمى الا انه مجامل .

وضحك بويبلو ثانية . واقترب من منضدة صغيرة كان عليها زجاجة ويسكى وكأس وبدون ان يحول بصره عن خصمه ، نزع سدادة الزجاجة بفمه — وملأ لنفسه كأسا وابتسم القديس قائلا :

— آه . يلوح لى أن الاخراج المسرحى يبعث الظمأ .

— كيف اكتشفتنى يا سنيور تمبلار ؟

وأشار مندوزا بيديه الصغيرتين استعطافا ، فطمأنه سيمون بنظرة ، فلن يدعه يذهب ضحية انتقام بويبلو . وأشار الى تابوت موضوع على الارض وجلس عليه وقال :

— تصور يا بويبلو اننى اعرف أشياء كثيرة ، وبخاصة العادة المنتشرة بين الذين يولدون فى المكسيك وهى أن يدفنوا فى بلدهم ، وكان رود ريجيز العزيز أقوم بهذه المهمة بالنسبة لاى مواطن له ، فيساعد اسرته على اتمام الاجراءات الرسمية لذلك ..

وقاطعه بويبلو وهو يشير الى نعش وقال بضحكة شيطانية .

— سأمنحك هذا النعش يا سنيور تمبلار .

وظل القديس هادئا — ولكن عينه أصبحت بلون الصلب ، وشع منها بريق خطير .. بريق المعركة .. بريق النصر ...

— نعش من البرونز يا سنيور تمبلار ، حاول أن ترفع الغطاء يا سنيور ... حاول .

وكان يحرك مسدسه تهديدا ، ورفع سيمون الغطاء ، واظهر بويبلو فرحه لا نتصاره ووضع يده

اليسرى على طرفه ..
وقال سيمون ــ حقا أنه غطاء متين جــدا . وهو ما يعوزني .
وتخلت أصابعه عن الغطاء . فوقع محدثا صوتا مكتوما وسحق يد المكسيكي الذى صرخ من الالم ..
وقال القديس : ــ لابد ان الاثــر كان موجعــا . واليك بمخدر من طراز خلص احمله معى دائما .
ولكم بويبلو على ذقنه بقبضته ، فهوى .
وتراجع سيمون قليلا بينما كان مندوزا ينظر اليه بأعجاب ويفرك يديه قائلا :
ــ كنت أعرف النتيجة مقدما .. اى رجــل عظيم يا مارى .
ولم تجب المراة الشــابة ، بل سقطت على الأرض فقد أغمى عليها . وانحنى القديس ورفعها متجها الى الباب وقال لمندوزا :
ــ افتح لى الباب يا مندوزا .
فأشار الرجل القزم الى بويبلو .
ــ وماذا تفعل بهذا الرجل ؟
ــ لا خطر منه . وســأستدعى الشرطة ليجــدهم بجانبه عندما يستيقظ .
وعندما جاء الشرطة بناء على اســتدعاء سيمون وجدوا جثة لا حياة فيها . وما أن وصل القديس الى بيته حتى تلقى منهم مكالمة تليفونية .
ــ أهو انت يا قديس ؟ لقد وجدنا بويبلو ميتا .
ــ ان مجرد دهس يد لا يقتل ..
ــ صحيح . ولكن جرعة كبيرة من السيانور هى أكثر فاعلية ، فقد انتحر الرجل بالسم وقد وجــدنا الكوبة ، والامبوبة مكسورة .

وتمدد على اريكة وغرق فى تأملات عميقة . ولم يع لاى حركة حوله الى أن راى مارى تخرج من غرفتها ، حاملة حقيبة صغيرة ، واقتربت منه .. ونادته باسمه ، واستيقظ من حلمه وسألها :

ـ هل ترحلين بهذه السرعة ولم ينقض على تعارفنا الا القليل .

ـ سوف نلتقى ـ ولكن يجب انأذهب الىخالتى، كما اننى بحاجة الى تغيير الهواء ـ ونسيان كان هذه الجرائم . وكل تلك الجثث .. اننى خائفة يا سيمون

ـ قد تكونين على حق . ولكن ما رأيك اذا رافقتك الى هناك اتقبلين على الاقل تناول الغداء معى اليوم ؟

فارتمت بين ذراعيه .

وبينما كان القديس ينام هادئا فى الليلة التالية ـ أيقظه جرس التليفون ، ورفع السماعة الى اذنه ، فسمع ذلك الصوت العجيب .. صوت « الارملة السوداء » يقول :

ـ يا قديس ... لقد أصبحت لا تطاق ، وزادت مضايقاتك بالرغم من اننى ظننت انك قد فهمتنى .

وكان الصوت غريبا ، خافتا ـ بغير انعطاف ولا انسانية فيه واستمر الصوت :

ـ ارك تتدخل كثيرا فى أعمالى يا قديس . واذا كانت قد اعترتنى لحظة من الضعف بالنسبة لك يا قديس فقد زالت . وأسفت عليها . انك محكوم عليك يا قديس .

ـ محكوم على بماذا ؟ وبما بحبك ؟

وسمع صوتا فى التليفون ، لعلها ضحكة . ثم

قالت الارملة السوداء :
ـ ستموت قريبا يا قديس .
ـ بين ذراعيك ؟
وقفلت الارملة السوداء الخط .

الفصل الثامن

دق جرس الباب عندما انتهى القديس من اعداد حقيبته ـ ودخل السائق سلم :
ـ هل ستسافر ؟
فقال تمبلار ساخرا : ـ هل فى نيتك ان تمنعنى من التمتع باجازة .
ـ ستحتاج الى ، فخذنى معك يا قديس .
ـ ومن قال لك اننى لن أذهب لاكتشاف الصحارى .. وهانك لن تجد زبائن لسيارتك التاكسى .
ـ انك ذاهب الى شيكاغو . وقد سمعتك أمس وانت تتحدث مع الانسة مارى .
ـ ان اذنك مرهفة بعض الشىء يابنى ..
ـ قد أفيدك ..
وكانت نظراته تنم عن التوسل حتى أن المغامر لم يستطيع تمالك نفسه من الضحك وقال له : ـ وسيادتك ؟
ـ لى زميل هناك ، وباستطاعتى استعارة سيارته .
وهز منكبيه يتبعه سام . وعندما وصل الى المحطة وجد مارى تنتظره فتأبط ذراعها وقالت له بابتسامة عذبة :

ـ انني مسرورة ياسيمون .

ـ تعالى اذن ..

ـ ولكن .. (وبدأت دهشتها لانه كان يجذبها الى خارج المحطة) .. الن نستقل القطار ؟

ـ لقد غيرت فكرى . فالطائرة أسرع . واكثر راحة .

وحدقت فيه وابتسمت . قد بدأت تفهمه ... انه كان مهددا فى حياته فمن الحكمة أن يغير برنامجه فى آخر لحظة .

وقال لسام ـ استقل انت القطار ـ وافتح اذنيك ولا تكثر من الكلام .. واقتصر على العبارات التى تساعدك على جميع المعلومات ..

ـ هل استطيع القول بأنك صديقى .

ـ أكثر .. اسمح لك أن تقدم نفسك على انك اركان حرب .

فتهلل السائق قائلا : ـ سيظنوننى « هوبى بانياتز » ...

وتمتمت مارى بصوت خافت : ـ لن يظن أحد أننى باتريشيا ..

ولم يجب سيمون .. فهو لا يعرف شيئا عن مارى وبينما كانت الطائرة فى طريقها الى شيكاغو ، القت مارى رأسها الجميلة على كتفه وراح هو يفكر ، فى الظروف العجيبة . فقد بدأت القصة بمكالمةتليفونية من مارى بعد منتصف الليل ولما رفض استجابة نداءها ، هرعت الى مسكنه فتبعها بعد أن بهره جمالها .

ومنذ تلك اللحظة ، لم ينقطع عدد الموتى من الازدياد تحت اقدامها : فوجد بول هنلى مقتولا فى

شـــقة مارى .. وورود ريجيز مطعونا بخنجر .. وضربت دولوريس بالرصاص فى وسط الشارع فى تلك اللحظة التى همت فيها بكشف الستار .. وحرق مصنع سيبلى وقتل صاحبه، ولعله كان أيضا سيزيح الستار . وكان كل هؤلاء أصـــدقاءا لمـــارى وأعقب هـــؤلاء بويبلو الرجل المـــكلف بتهـــريب العمـــلات المـــكسيكية المزيفة داخل صناديق المـــوتى .. مات بويبلو بالسم ، تحت بصره تقريبا .. وكانت مارى حاضره .. مارى التى لم تتدخل عندما هدد بويبلو ، سيمون ، هل تكون مارى هى الارملة السوداء التى تتصل به تليفونيا ، لاعبة دورها باتقان ، .. ولكن فى أى لحظة كانت الارملة الســـوداء تجرى اتصالاتها

وتحرك قليلا ، فزادت المرأة الشابة من التصاقها به والتقت يدها الطويلة بيـــد القـــديس ، فضغطت عليها بشـــعور الانسان الذى يحف به خطر الموت فيتعلق بمن هو أقوى منه .. بشخص تشعر بأن امكانياته تفوق المستوى العادى .

وكانت المضيفة الجوية تتجول فى الممر ، فابتسمت لسيمون الذى همس لها :

ــ اننى أحب أيضا الشقروات كثيرا ..

ومضت فى طريقها .

وعندما هبطت الطائرة فى مطار شـــيكاغو ، نزل القديس بين مؤخرة الركاب وفى اللحظة التى اتجه فيها الى باب الخروج رأى رجلا يشق طريقـــه بين الناس ويقترب منه قائلا :

ــ هل أنت تمبلار ؟

وتأمله سيمون دون أن يجيبه ، فقد كان متأهبا لكل الاحتمالات .

وعاد الرجل يقول ، وكان طويل القامة قوى العضلات ، احمر الوجه بطينا :

ــ انا واثق انك القديس .

هل ترانى أحمل هالة من النور فوق رأسى .. ؟

ــ اجبنى شفقة بى ، فباستطاعتك انقاذى .

ــ اذا كنت مريضا فاذهب الى طبيب ففى هذه المدينة أطباء ممتازون .

ــ أين استطيع لقاءك يا مستر تمبلار ؟ يجب أن اتحدث معك فان حياتى تتعلق بخيط واحد .

فتأمله سيمون وقال له : ــ يجب أن يكون هــذا الخيط متينا .

وسار دون أن يتوقف ، ولكن الرجل الآخر وقف فى طريقه وقل :

ــ اسمى دول.. اوسكار دول . وهو اسم لايوحى اليك بشىء . فاذا قرأت فى الصحف اننى قتلت،فتذكر أن قاتلى هو ..

وادى تزاحم الجمهور الى انفصالهما . ولكن صوت الرجل المجهول ظل ينادى من بعيد « دول .. تذكر »

وقالت مارى وهى متعلقة بذراعه :

ــ لم تأخذك الشفقة به ياسيمون .

ــ بمن ؟ بهذا السيد « دول » ؟ اذا كان على يافتاتى الصغيرة أن أهتم بكل الناس المهددين بالموت فلن تكفينى عشرة أضعاف عمرى ، حتى اذا عدلت عن النوم ، وأقللت من الطعام ، وأهملت الشقروات الحسناوات .

واجتازا الباب وأوقفا سيارة وقال سيمون :

ــ لقد كان سام على حق . فلو كنت أعرف سائقى لكنت أهدأ بالا .

وقال للسائق ــ اتجه الى اليسار .
ــ ولكن فندق كريجتون الى اليمين .
ــ نعم .. ولكننى أريد تجربة المثل القائل بأن كل الطرق تؤدى الى روما .. وسنتحقق من ذلك .

واستدارت السيارة الى اليسار ، وجعل سيمون السائق يدور فى الشوارع الصغيرة المجاورة للفندق .

واستقبلهما على باب الفندق الموظف المكلف بالاستقبال وقال :

ــ كنا ننتظرك يا مستر تمبلار . وقد حجزنا لك الشقة المعتادة .

وأوصلهما المصعد بسرعة الى الطابق الثالث . وكانت الشقة تتكون من ثلاث غرف تتصل بصالون . وكانت هناك منافذ تؤدى الى شرفة العمارة المجاورة أو الى سلم النجدة . ولفت نظر القديس سلة ضخمة من الزهور وسط الصالون ، فالتفت الى مدير الفندق وقال له :

ــ اشكرك ما مستر جون على هذه اللفته الجميلة .

وتناول سيمون الرسالة المرفقة بالزهور . وكانت معنونة باسم « الانسة مارى فيرفا » وفض المظروف ووجد بطاقة تحمل رسما خطيا يقلد علامة القديس على هيئة امرأة وبدلا من الرأس ، رسم عنكبوتا يمثل نسيجه وأرجله قناع الارملة . وعلى ظهر البطاقة كتب الكلمات التالية :

« مع تحيات الارملة السوداء . وتمنياتها بالصحة لسيمون . »

واعترت مارى حركة تشنجية . ورفعت يدها الى

حنجرتها ، واسندها القديس وساعدها على الجلوس وابدى الميتر قلقه فطمأنه تمبلار قائلا :

ــ لا تقلق فان الانسة فيرفا تعتريها وعكة من وقت لاخر .. اذهب بها الى غرفتها .

ودخل هو الى غرفته وابدل ثيابه ، وابدى عناية خاصة بمظهره دون ان يعرف السبب وتساءل :

ــ هل سأقابل الارملة السوداء ؟ او ان هذه الزهور هى فخ جديد ؟ .

وغادر الشقة ، وقصد الى البار ، ورحب به البارمان قائلا :

ــ اننى مسرور لرؤيتك يا مستر تمبلار . فمنذ وقت طويل لم تحضر الى شيكاغو ، هل هناك خلل فى المنطقة .

ــ من الجائز يا سيدى .

ــ تذكر ان باستطاعتى الاسهام فى اعمالك يا مستر تمبلار .

ــ شكرا .

ــ ماذا تشرب يا مستر تمبلار ؟

ــ اريد كأسا مضاعفا من الويسكى يا سيدى . فاننى أشعر بحزن هذا المساء .

ومال على البار مقتربا من البارمان وقال له :

ــ ان هذا البار يثير فىذكريات مجيدة يا سيدى.. ذكريات متعددة الالوان .

ــ ذكريات تكنيكالار .

ــ نعم .. ذكريات شقراء ، وسمراء ، وحمراء . بكل الالوان يا سيدى ..

ــ ما عدا واحدة يا مستر تمبلار ... واحدة تنقص مجموعتك ، وستضيفها عما قريب اذا لم

اخطىء التقدير .. انها خليط من الملح والفلفل ...
ــ ما هذا ...

وتوقف عن الحديث وهو يحاول جاهدا أن يخفى نفوره من سيدة تجاوزت الستين كانت تتجه اليه . وكانت ترتدى ثيابا انيقة ولكن فى شىء من الاهمال ، وكان يبدو عليها عدم الإتزان وهى تثبت بضربة من قبضة يدها قبعتها الصغيرة على شعرها الملون بلون الملح والفلفل .. وقالت لسيمون :

ــ معذورة يا سيدى لتدخلى فى الحديث .. بالرغم من اننى لم أتعود ذلك .. لقدخيل الى سيدى يناديك باسم تمبلار .

ــ اذنك مرهفة يا سديتى ، ولا بد أنك موسيقية
ــ الست قريبا لاسرة تمبلار فى دوتريت عاصمة ميتشجان ؟

فهز رأسه قائلا : ــ كلا ياسيدتى ، لست قريبا ولا حليفا لتلك الاسرة ، ولست منها ، ولا هى منى . بل أنا فرع قائم بذاته ..

ــ لقد وضح الامر اذن فانت سيمون تمبلار .
ــ اننى أهنئك على منطقك .

فتنهدت طويلا ، وضربت قبعتها بيدها مرة أخرى وظلت تداعب عقدها برهة ثم قالت :

ــ اننى سعيدة لانك لست من تلك الاسرة . فان افرادها ضيقى الافق الى حد كبير .

وتنهدت مرة أخرى وهى تستعرض السوارات الذهبية الثقيلة التى تحيط بمعصمها والحجارةالكريمة التى ترصع خاتمها . وانحنت على سيمون وقالت:
ــ سأفضى اليك بأمر يا مستر تمبلار ، فأنا ..

وتوقفت عن الحديث لان البارمان اقترب فى هذه اللحظة ليقدم كأسا لتمبلار . الذى اخذيتأملها وهو يشرب كأسه .. فهذه السيدة العجيبة،ذات الصوت الابح ، ترتدى ثوبا طويلا أسود اللون ، وقبعة سوداء ، وتضع على منكبيها فراء كثيفا أسود .. فهل تكون هى .. ؟

واقتربت منه كثيرا وتمتمت :

ارجو أن توافق على الابتعاد قليلا عن الاذان الفضولية يا مستر تمبلار ، فان هذا البارمان يسترق السمع . اننى أعانى موقفا صعبا الى حد كبير .

ــ هل أنت فى حاجة الى مساعدة ، وانت أيضا . من الغريب اننى اواجه طلبات ملحة مشابهة منذ بضعة أيام .

ووضعت يدها المغطاة بالجواهر على ذراعه . متوسلة . فهز منكبيه . وتبعها الى زاوية المكان حيث جلسا جنبا الى جنب . وقال لها :

ــ لعلك لن تحدثينى عن دول ..

ــ لا تمزج يا مستر تمبلار . فاننى بحاجة شديدة الى من يقف بجانبى . ولا أدرى كيف اتخلص ...

وترددت قليلا ثم فتحتحقيبة اليد السوداء،الكبيرة الحجم التى كانت تشد عليها بقبضتها وقالت :

ــ من الافضل ان اريك ..

وأرته من فتحة الحقيبة مسدسا كبير الحجم !

وحث نفسه : هل هى الارملة السوداء ؟

ثم قال لها :

ــ معذورة عن فضولى يا سيدتى ، وأنا أعدك بالصمت التام ، فما الذى تنوين فعله بهذا المدفع ؟

فقالت ببساطة تامة : اريد ان اعهد به اليك .

وبلع سيمون ريقه ، واطمأن بعض الشىء وقال :

ــ اتعطينه لى فى هذا البار الهادىء ، وبدون سبب معروف .

فثبتت قبعتها وقالت : ــ عندى اسباب وجيهة تدفعنى الى أن افعل ذلك .. هل تريد أن أعطيه لك الان ؟

وكانت قد دست يدها فى حقيبتها ، وانتزعت منها المسدس الذى يشبه المدفع عندما دوت صرخة فى المكان :

خالتى ماذا تفعلين ؟

واستولت الدهشة على السيدة المتشحة بالسواد وتركت المسدس داخل حقيبتها وصاحت بدورها :

ــ مارى ؟

وتنفس القديس الصعداء قائلا : لقد جئت فى الوقت المناسب يافتاتى الصغيرة . ولكنى .. هل أنت ابنة أخت هذه السيدة العزيزة ؟

ــ نعم انها خالتى ، مسز جيلبرت ، التى حضرت من أجلها الى شيكاغو ..

وقطب حاجبيه ثم استغرق فى الضحك قائلا :

ــ جئت من اجلها . فكان أول ما فعلته هو تهديدى هل لك أن تقولى لى ياسيدتى ، لماذا تصرفت معى هكذا دون ان تمهلينى لاكتب وصيتى ؟

وحدقت فيه مسز جيلبرت بذهول وقالت :

ـ انك عجيب يا مستر تمبلار .. وستشرحين لى الامر يا مارى فيما بعد .. اما أنت فخذ المسدس على عجل .. اسرع فليس هنا من يرانا ..

والقى على مارى نظرة استفهام فأحنت راسها ، وقال هو :

ـ اشكرك يا مستر جيلبرت على هديتك .

وتناول المسدس وشرب كأسه دفعه واحدة ، وقال :

ـ هل لك ان تشرحى لى يا سيدتى كيف اجتمعنا كلنا هنا ؟

ـ تلقيت رسالة تنبئنى بأن ستكون فى البار .

ـ وأنت يا مارى ؟

ـ هل يخطر لى بأننى سأراها بمثل هذه السرعة .

واخذ القديس يتأمل المراتين .. وهو يفكر فى مسئولية مارى عن هذا اللقاء . هل أخطرت خالتها ؟ ولماذا حضرت الاخيرة الى الفندق من أجله ـ وليس من اجل مارى ؟ انه لامر عجيب حقا .

وانحنى نحو مسز جلبرت وسألها :

ـ ألست ظمآنة ؟

ـ أكثر مما تتصور .

فأشار الى سيدنى وجذب مارى للجلوس بجانبه ثم قال :

ـ والآن يا عزيزتى مسز جيلبرت ما الذى أستطيع أن أفعله من اجلك .

ـ انت وحدك الذى يستطيع اخراجى من المأزق

ــ ولهذا تسيرين حاملة هذا المدفع في حقيبة اليد ؟
ــ ظننت انك ستخلصني منه يا مستر تمبلار .
ــ ان اسمك يثير أشياء في ذاكرتي ..
فابتسمت مبتهجة وتذكر هو فجأة وصاح :
ــ تذكرت الان . انك مسز جيلبرت ... « الوحيدة » .

فأحنت جبينها بسرور .. وأخذ هو يستعيد ذكرياته . فقد كانت احدى سيدات المجتمع الراقي في أمريكا . وكان اسمها وصورها تلع في المجلات، وكانت تتصدر حفلات الاستقبال ، وحفلات الشاى ، وحتى الحفلات الاولى للمسارح ، وفي عروض الأزياء وكان يؤخذ برأيها في الموضة .. وكان كل هذا لانها لاترتدى الا ازياء باريس ...

وقالت وهي تتنهد :

ــ نعم .. هو أنا .. ولكنني أعاني موقفا حرجا .

ووضع البارمان كؤوسا على المنضدة ، وانتظرت مسز جيلبرت حتى رحل ثم قالت :

ــ لقد تسلحت بهذا المسدس منذ وقت قصير ..

وصاحت مارى : ــ ولكن هذا لا يليق بك ياخالتي .

ووضع القديس يده على ذراعها لتهدئتها ، وقال لمسز جيلبرت :

ــ وماذا فعلت يا مسز جيلبرت بالرصاص الذى كان يحشو المسدس ؟

فقالت ذات الرداء الاسود بدون اكتراث :

ــ أخمدت به أنفاس رئيس خدمي . وقد مات هذا الكلب الاجرب .

ــ هذا شيء مزعج .

وشرب كأس الويسكى وهو يتتبع ببصره مسز جيلبرت ، كما لو كانت حشرة غريبة ، ثم التفت الى المرأة الشابة التى كانت تتأمل خالتها بذهول وسألتها :

ــ متى يصل مندوزا يا مارى ؟

فأجابت المرأة ذات الشعر الاغبر :

ــ لقد وصل فعلا .

الفصل التاسع

وقفت امام فندق كريتون سيارة ضخمة ، أشبهبعربة السكك الحديدية لطولها ، وعرضها ، ونزل السائق عندما راى سيدته مقبلة .

وصعت مسز جيلبرت أولا ، بعظمة هؤلاء الذين تعطيهم الثروة كل الحقوق . وبالرغم من أنها لجأت الى تمبلار مستنجدة به ، طالبة معونته ، فقد أهملت شأنه ، فجلس بينها وبين مارى الصامتة ، وتناول يد الاخيره فى الخفاء وضغط عليها ، ووضعها تحت ذراعه ، اذ شعر بعذابها ، وكان من السهل معرفة السبب .

ووصلت السيارة الى شارع هادىء ، تصطف على جانبيه قصور صغيرة ، فى مقدمة كل منها حديقة ضيقة . ونزل السائق وفتح الباب . وقالت مسز جيلبرت للمغامر عند نزولها .. لعلى أخطأت الظن ، فلم يمت ، بل جرح !

وهز القديس راسه ولزم الصمت . ودخلت مسز

جيلبرت أولا ، وكانت الردهة متحفا للشناعة والاشمئزاز . فلم يسبق للقديس ان رأى مثل هذا التكديس لاشياء غريبة ، فاسدة الذوق . وعندما أتيح له تفقد القصر وجد كل محتوياته مماثلة فى فساد الذوق . ودفعت مسز جيلبرت بابا ووقفت على عتبته قائلة وهى تشير الى جثة مكومة على البساط :

— هذا هو بول .

وتذكر القديس جثة أخرى ، كانت ممدة على بساط آخر ، بينما كان مكبر الصوت يذيع عبارات متقطعة ، تلك كانت : جثة بول هنلى الذى قتل فى شقة مارى فيرفا ..

حقا ان الجثث تتكاثر وتتزايد تحت أقدام المرأة الشابة ! واقترب من الجثة ، ولمسها ثم نهض قائلا :

— لقد فارق الحياة ..

فقالت مسز جيلبرت وهى تعتمد على مقعد :

— يا اله من مسكين . ان ذلك لا يدهشنى فقد كان المسدس كبيرا .. واقبل عليها القديس وهو يبتسم فى غضب شديد ، وخشيت مارى أن يضرب السيدة العجوز . وقال : —

— لا يهمنى حجم المسدس ، ولكن نية الشخص الذى استعمله .

وقد نطق هذه العبارة بصوت غريب ، دون ان يرفع نظره عن مسز جيلبرت ، التى خلعت قبعتها ورمتها على المقعد ، وزمجرت :

— كانت نيتى يا مستر تمبلار أن أزجره ، واخمد أطماعه .

ــ لقد نجحت كل النجاح ، وثقى أن رئيس خدمك لن يطمع فى شىء بعد الان .

ونطق بكلمة « رئيس الخدم » بطريقة غريبة جعلت العجوزة تعيد الشرح :

ــ لقد فاجأته وهو يسرق . فماذا كان ينبغى أن أفعل ؟

ــ ما رايك لو اجبتك : بلغى الشرطة .

ــ انك على حـــق .. وكان ينبغى ان ابدأ بذلك . ولكنى لم أفكر : كان يسرقنى فوثبت عليه .

وابتسم القديس بازدراء وهو يجول ببصره حـــوله باحثا عمـــا عساه قد أغرى رئيس الخدم بالسرقة .. لا شىء ! .. لم يكن هناك ما يستحق اهتمام أى لص وقال : ــ

ــ ما الذى كان يبحث عنه أبوت المسكين ؟ لعله كان يريد تأثيث بيته !

ــ كلا ، بل كان يريد سرقة مجموعة فساتينى المطرزة بالذهب والمشـــتراة من محل روزبيه فوثبت عليـــه ، وتعاركنا ، وكاد ان يقهرنى ، فأمسكت بالمسدس واطلقته .. وهذا ما حدث !

ــ بالبساطة الامر ! مجوهرات .. مسدس .. وهذا ما حـــدث !

ــ هل تتصور قيمة فستان السهرة بالنسبة للمرأة يا مستر تمبلار ؟

وابتسم ، وسار الى النافذة والقى منها نظره ، ثم عاد فأشعل سيجارة وقال :

ــ ليست لدى فكرة حتى الان .. ولكن اذا اختلست

قفازا من الانسة فيرفا ، فاننى إضمن ماذا سيحدث لى .. أليس كذلك يا مارى ؟

فقالت الفتاة : ـــ اليس بوسعك يا سيمون أن تتوقف لحظة عن المزاح ؟ لقد دعتك خالتى لنجدتها ، فاذا كل ما تجـــده ...

ـــ ... جثة مثالية بكل نقط الاستفهام المرغوبة .. ما وصف فستان السهرة هذا يا مستر جيلبرت ؟

ـــ انه بذيل مذهل ، أستوردته من باريس مباشرة الشهر المـــاضى ..

موديل جديد من محل روزبيه ..

ـــ من محل روزبيه ! ... ومع ذلك فقد كان على أبوت أن يدرك ان بنطلونه الاسود ، وصديريته المخططة تناسب جماله اكثر من فستان السهرة .

وكتمت مسز جيلبرت غيظها ، وفتحت حقيبةيدها واقفلتها عدة مرات ، وكان واضحا انها تغلى ، واخيرا انفجرت قائلة :

ـــ فستان قيمته ثلاثة آلاف دولار يا مستر تمبلار ! لا شك أن هذا الثمن شد انتباه أبوت . وأنه فكر فى بيعه لبعض اخصائى الازياء ... لقد كان موديلا جديدا فى صندوقه من عند روزبيه ، يا مستر تمبلار .

وكان القيس يتطلع الى السيدة العجوزة بوداعة ، وفهم ، ولكنه أبدل هيأته فجأة .. وقال :

ـــ هل تسمحى لى بأن أمتـــع نظرى بهذه التحفـــة الرائعـــة ؟

ولم تتردد مسز جيلبرت ، فنهضت بخفة مدهشة ، وعندما وصلت الى الباب التفتت اليه وقالت :

ـــ انتظرنى هنـــا .

ـــ طبعا .. وستشرحى لى بعد ذلك لماذا وجهت نداء النجدة هذا لصديقى مندوزا .

وفتحت فمها ، وهمت بالاجابة ولكنها لزمت الصمت ، وانصرفت وجلست مارى بالقرب من تمبلار ، وضمته اليها وقالت له :

ـــ لماذا تقسو على هذه الخالة المسكينة ؟

ـــ اى قسوة ..

وقبل أن يسترسل فى الشرح سمعا صراخا ، وأقبلت مسز جيلبرت وهى تنتحب وتقول :

ـــ لقد سرقت ؟ سرقوه .

وبينما اسرعت مارى الى خالتها محاولة تهدئتها ، راح القديس يذرع الغرفة وهو يشعر بأن اشياء غريبة تسود جو هذا القصر . وصاحب مسز جيلبرت :

ـــ اننى متأكده من أننى أعدت الثوب الى مكانه بعد أن أنتزعته من أيدى أبوت ..

ـــ فلنستعد الوقائع:لقد دار عراك بينكوبينرئيس خدمك فى هذه الغرفة ، ثم قتلته خوفا على حياتك . ثم استعدت ثوبك ، فأين وضعته ؟

ـــ داخل صندوق من الكرتون ، فى غرفتى .

وعضت يديها دلالة على اليأس الذى لا حد له وقالت :

ـــ اننى ضحية مؤامرة مرتبة ، ما الذى سأرتديه للذهاب الى حفلة السفارة ، بعد أن فقدت فستانى ؟ فستان من محل روزييه .. سمعتم ؟

ـــ نعم .. أنها مؤامرة .. وقد خطر لى ذلك منذ دخولى الى هذا القصر .

وانقطعت دموع المرأة فجأة ، ورفعت بحركة عصبية خصـــلة الشعر التى تدلت على عينيها وصاحت : ــ انك تهزأ بى .

فأجاب بابتسامة رحيمة ، تعبر عن الاشفاق :

ــ اننى لا أجسر على ذلك يا مسز جيلبرت .. ولكن الهوايات تختلف . فأنت من هواة المجلات الاجتماعية ، أما أنا فأهتم بقراءة النشرات التى تذيعها مراكز الشرطة .

وقطبت حاجبيها محاولة تتبع فكر المغامر ، ونسيت حديث الاناقة فى هذه اللحظة ، كما راحت تتبع سيمون باهتمام بالغ . واستمر هو فى حديثه الباسم :

ــ كان أبوت فى نظرك هو أبوت . رئيس خدمك .. ولعله بدا لك مجردا من الذكاء .. فهو رئيس خدم على أى حال . فهل خطر لك أن كثيرا من السجون ورجال الشرطة والمباحث يعرفون أبوت هذا باسمه الحقيقى .

ــ اسمه الحقيقى ؟

ــ نعم .. آرثر فنوريا ، النصاب المشهور الذى يدين لسجون الولايات المتحدة بمائة وعشرين سنة ، حكم عليه بها فى قضايا مختلفة .

وبدا الذهول على مستز جيلبرت ، ولجلجت مارى : نصـــاب ؟

وهز سيمون رأسه كما لو أراد التخلص من ذبابة مزعجة وقال :

ــ ليس هذا الا بعض الواقع .

وقالت الفتاة : ــ اننى لا أفهم .

فداعب شعرها الجميل وقال :

ــ اننى آسف يا فتاتى الصغيرة لان أســـحب من

خالفك ميداليتها في الرماية بالرصاص وانها لم تقتل ابوت فلوريا .

وعضت مسز جيلبرت على شــفتيها وحدقت فيــه بغلظة ، وقالت وهي تصر على اسنانها : —

— انك مجنون يا مستر تمبلار ، حقا ان الايحاء هو الذي جعلني استدعيك لنجدتي .

— ستحكمين على ذلك فيما بعد .. هذا المسدس الضخم ذو مزايا هامة عديدة عدا واحدة .

فسألته المرأة بروح عدائية : ما هي ؟

— طعن رجل بالخنجر في ظهره .

وتسمرت المرأتان من الذهول :

— هل مات أبوت مطعونا بالخنجر ؟

واقترب القديس من الجثة ، وادارها بحركة اشمئزاز وأبان عن الجرح .

وصاحت مسز جيلبرت غاضبة :

— انني لا أفهم .. هذا مستحيل .

— حسنا .. أتسمحين لي بتفقد منزلك ؟

فنهضت قهرا عنها ، وتقدمته لتريه الطريق ، وكان القديس يعجب لتكديس كل هذه الاشياء البشعة في مكان صغير . وكان يتوقف احيانا ليتفرج على قطع الزينــة الصــغيرة .

ورأى في غرفة مسز جيلبرت مجموعة كبيرة من الثياب الحريرية المتعددة الالوان وفي وسطها أريكة ضخمة . وســألها :

— وأين كان ثوبك ؟

ففتحت خزانة ذات أدراج ، واشارت الى احدها وقالت :

ــ هنا فى صندوق من الكرتون .

وتناول الدرج وفتح غطاءه ، وفحص الادراج الاخرى ثم سألها :

ــ هلا اخبرينى لماذا استدعيت أخاك لنجدتك ؟

ــ لانه رجل حكيم ، ولما كنت اشعر بأننى مهددة منذ بعض الوقت اشتريت هذا المسدس ، ولولاه لقتلنى أبوت .. اذ وصل العراك الى حده الاقصى وكان لابد أن يموت أحد منا ..

ــ جريمة قتل من أجل الاستيلاء على فستان مطرز بالذهب ..

واشعل سيمون سيجارة بعدم اكتراث . وصاحت مسز جيلبرت بانفعال :

ــ قلت لك أنهيساوى اكثر منثلاثة آلاف دولار .

ــ ان الانسان لن يقتل من أجل فستان يا مسز جيلبرت حتى ولو كان ثمنه عدة الوف من الدولارات .. وكنت أفهم أن تقتيله لو أنه قال لك أنك تشبهين البومة وأنت لابسة هذا الفستان .. ولكن ..

ــ رويت لك ما حدث يا مستر تمبلار .. أطلقت النار على أبوت وظننت أننى قتلته ، ولكن ما دام ثوبى قد اختفى ، فلابد ان شخصا آخر قد دخل المنزل بعد ذلك ، وقتل الرجل واستولى على الثوب .

ــ من الجائز . ألم تسمعى عن الارملة السوداء ؟

فرفعت منكبيها وهزت رأسها .

وقال هو متأسفا : ــ يا للخسارة . فقد كان ذلك يلقى ضوءا على كثير من الاشياء . تعالى يا مارى .

وأمسك بذراع الفتاة وجذبها معه ، وحاولت مقاومته ، ولكنه كان يمسك بها بقوة وخرجا قاصدين الى فندق كريتون .

الفصل العاشر

لحق مندوزا بهما فى المساء . وكان القديس قد اصطحب الفتاة الى كباريه يقدم برنامجا مضحكا ، وهناك راح يمرح كالاطفال ويضحك حركات الممثلين ويصفق لهم . وحاولت مارى أن تستجوبه أكثر من مرة ، ولكنه قال لها : —

— لا أريد أن تلفظى اسم خالتك ، فلا خوف عليها . . لقد مات أبوت وكان نصابا مشهورا يبحث عنه البوليس ، وقد خلص منزل مسز جيلبرت الان من جثة المجرم . وكرس كل وقته للمسرح ، وبعد قليل جاء مندوزا وجلس بجانبهما ولم تخف مارى دهشتها وقال القديس :

— هل قضيت سفرا مريحا ؟ الم تحاول الارملة السوداء اخراج قطارك عن الخط ؟ هل قدم لك خادم المطعم سردينا مسموما ، أو آيس كريم بسم الاستريكنين ؟

وهز الرجل الضئيل منكبيه الهزيلين وراح يتابع المشهد ، وبعد نهاية البرنامج ذهب بهما القديس الى ملهى ليلى كان يعرفه من قبل . وعندما مر امام غرفة الملابس ابتسمت له العاملة قائلة :

— طاب مساؤك يا مستر تمبلار .

واقتربت منه بائعة الزهور لتعلق على عرف جاكتته وردة حمراء .

وحرك البارمان الخلاط الذى يمزج فيه الكوكتيل قائلا :

ـ كالمعتاد يا مستر تمبلار ؟

ولم تخف مارى دهشتها وقالت له : ـ

ـ يبدو أنك تحضر الى هنا كل يوم يا سيمون .

ـ لقد قدمت لهم خدمات كثيرة يا مارى . والكل يقبل على حتى ولو تغيبت طويلا . وهذه هى ميزة الدعاية . وسأقدمك لوكيل الاعمال ليخلق منك نجمة اذا أردت . هل تريدين أن تصبحى كوكبا يا مارى ؟

ـ كــلا .

ـ وانت يا مندوزا ؟

ـ انك لست جادا يا قديس . وستصاب بمكروه ذات يوم .

ـ أنا مؤمن منذ مولدى يا مندوزا بأنى حسن الطالع وليس هناك ما أخشاه من أى كان ..

فقال القزم بلهجة شريرة :

ـ حتى ولا من الارملة السوداء ؟

فقال المغامر متعجبا :

ـ وأخيرا ها هــو من يعرفها . أين التقيت بهـا يا مندوزا ؟ أهى جميلة ؟ هل شرحت لك لماذا يضايقها وجودى فى شيكاغو ؟

وثنى القزم جفنيه كما لو كا نيواجه حيوانا غريب السلوك . ولم يحفل القديس بظنون الاخرين فيه ، فاحتفظ بابتسامته وعدم اكتراثه . معولا على الوصول بالمغامرة الى نهايتها التى ارادها لها .

وأسرع رئيس الخدم يقدم الشامبانيا .

والتفت القديس الى مندوزا ويسأله :

ـ اشرح لى يا مندوزا لماذا أرسلت اليك اختك برقية تستنجد بك فيها ؟

وأبدى مندوزا تجاهله السبب . وكل ما يعرفه أنه استجاب للنداء .

ونهض سيمون واصطحب مارى الى حلبة الرقص . وتخيل أنه على مقربة من المأساة التى تحاك خيوطها حوله ، وتمتمت مارى وهو يراقصها :

ـ سأكون سعيدة يا سيمون اذا . . .

ولم تتم عبارتها ونظرت اليه بتوسل ، فسألها : ـ اذا . . . ماذا ؟

ـ اذا ذهبت بى بعيدا عن هنا .

ـ أتريدين السفر فى رحلة ؟

ـ نعم . بعيدا جدا عن هنا . . الى فلوريدا . . . أو كاليفورنيا . . أو ابعد من ذلك . .

ـ وهل نترك خالتك المسكينة وحدها ؟

ـ لا تحدثنى عنها . فلننسى كل ذلك .

ـ وهل تتخلين أيضا عن مندوزا ؟

ـ لا تمزح ، فأنت تعلم أنه لم يعد يهتم بى منذ وقت طويل . ولولا مسألة النقود المزيفة لما عاد الى الظهور فى حياتى . فلنتركه يا سيمون ، ولنرحل .

ـ اعلمى يا عزيزتى مارى اننى اعتدت انهاء ما ابدأه .

ـ واذا قتلوك ؟

ـ انهم لا يقتلون القديس يا مارى . وانت تحبيننى كثيرا لذلك .

والتصقت به ، ودار بها سريعا تبعا لنغمات الموسيقى وكان الناس من حولهما لا يعرفونهما . وجلس مندوزا يقلب كوب الشمبانيا فى سكون .

وقال سيمون : لقد قررت ان اسوى الحساب مع الارملة السوداء .

وارتعدت وفتحت فمها لتتكلم وتناقش ، ولكن صورة الحزم التى ارتسمت على وجه سيمون أقنعتها بالعدول عن أى نقاش فقالت مستسلمة بعد زفرة طويلة :

ــ حسنا يا سيمون .. لم يبق امامى اذا الا ان اجهز ملابس الحداد .

ــ حقا ؟ أتقدرين اذن ان الارملة السوداء اقوى منى؟

ــ انك تعمل على المكشوف . اما هى ... فلست تردى عما اذا كانت هى التى ترقص هناك .. أو تلك الجالسة الى المائدة على حافة الحلبة . ترش وجهها بالبودرة ... أو هذه الداخلة التى تلبس معطفا من الفراء .

ــ لقد كنت اوجه لنفسى نفس الاسئلة منذ وقت قصير .

وشدها اليه ليجبرها على النظر اليه وقال :

ــ بل اننى تساءلت عما اذا كنت أنت هى الارملة السوداء .. و

وادمعت عيناها الجميلتان وعبرتا عن التأنيب الصامت ، ثم احنت راسها وتمتمت :

ــ ولم لا ؟

وعندما عادا الى المائدة كان مندوزا ما زال جالسا . وسأله سيمون :

ــ هل تحب أختك يا مندوزا ؟

ــ طبعا .

ــ هل أنت شقيقها الوحيد ؟

— نعـــم .

— هل تعتقد ان أختك قادرة على قتل رئيس الخدم لانه حاول أن يسرق منها فستانا ؟

وضحك مندوزا ضحكة غريبة مخنوقة وقال :

— ان اديث تفعل اى شىء اذا اعتدى على مقومات حياتها : الثياب ، القبعات مجوهراتها . . .

— حقا ؟ ولكن مجوهراتها زائفة .

— زائفـــة ؟

وحملقت مارى بذهول . وهز مندوزا كتفيه،وكرر سيمون كلمة « زائفة » بينما ظلت عيناه تتطلع فى الفضاء .

ثم سأل الشاب فجأة :

— هل تذكرين يا مارى الرجل الذى اعترض طريقى عند مغادرتنا المطار ؟ ما اسمه كما قال لنا ؟

— دول .

— نعم . . . دول . اننى أعرف هذا الاسم . . وأذكر هـــذا الوجه . . دول . لقد كان متورطا فى قضـــية مجوهرات . . أفهمت يا مندوزا ؟ مجوهرات .

وتحرك الرجل الصغير الحجم فى مقعده ، وفرك يديه، احداهما عكس الاخرى بعصبية ثم قال :

— ماذا بقى فى رأسك المقدسة أيضا ؟ ما هى تأملاتك؟

— لا شىء يا مندوزا الصغير . لا شىء البتة . ولكنها خواطر متقاربة . عجيبة مجوهرات اديث زائفة . . . فى حين يشتغل دول بالمجوهرات الزائفة . . وكنا نواجه موضـــوع النقود الزائفة . . كل شىء زائف فى هـــذه المغامرة . واذا كانت الارملة السوداء زائفة أيضا ؟

فقالت مارى تؤنبه وهى تضغط على يده :
ــ لقد جننت يا سيمون .
ــ اننى لا افهمك يا منــدوزا . انك تطلب منى أن اساعدك على حماية أختك العزيزة اديث ، واطاوعك مضحيا بأجازة بديعــة فى فلوريدا ، أو كاليفورنيا .. ويكون شكرك لى هو اتهامى بارتكاب حماقات ..
ــ لم أقل بتاتا ...
ــ حقا ؟ لعلنى فقدت صوابى اذن . على أى حال اطمئن فلن يحدث لى ذلك .
وباستطاعتك الاعتمــاد على ، ولن تجد فرصــة لتأنيبى .. واعدك بحماية اديث ، وارجاع ثوبها اليها .
ولم يجب مندوزا . وحــدقت مارى فى ســيمون ، وعقبت باشارة من رأسها .
ولم يكن الوقت متأخرا عندما خرجا من الكباريه .
وسمع سيمون فى الخارج صوتا مألوفا له ينــاديه بصوت خافت ورأى راسا تطل من نافذة سيارة ...
وكان هذا هو سام السائق . فحياه واقترب من السيارة يتأملها اعجابا وسأله من أين جاء بها ، فأجاب مزهوا بأن زميلا له اعاره اياها .
وقال القديس مازحا: هذه السيارة جديرة بالاسقف .
ــ هذا صحيح ، فقد أوصى على صنعها اســقف لابرادور . وعندما تم صنعها ، كان رحل عائدا الى بلاده . حيث لا فائدة منها هناك . فاشتراها زميل لى وأعارها لى طوال مدة اقامتنا هنا .
وفتح بابها ، وجلس سيمون بين مارى ومندوزا ، وقال للاخير : ــ
ــ اراهن على أنك حجزت غرفتك فى فندق كريتون ، ايضــا ؟

ـــ نعـــم .

وسـاد السكون لحظة دون أن ينطق احد الثلاثة بكلمة ثم قال القديس بصوت عال :

ـــ من الغريب يا مندوزا ان اختك كانت تصلح لان تصبح ممثلة هزلية ممتازة .

ـــ اسألها عن رأيها فى الممثلين .

وعندما انفرد القديس فى غرفته ، انتظر لحظة قبل أن يخلع ثيابه ، وكان قد فتح النافذة المؤدية الى سلم النجاة ، وجلس على مقعد بعد أن أطفأ النور ، يتطلع الى السماء من النافذة .

وبعد برهة لاح خيال فى النافذة ، وتردد الخيال لحظة كما لو كان يبحث عن اتجاهه . وأضاءت سـيجارة سيمون وسط الظلام ... وهمس صوت القادم : ـــ يا رئيس .

وقال سيمون : ـــ ادخل يا ســـام .

وقفز سام داخل الغرفة واصطدمت قدمه بأحــد المقاعد ، وأضاء سيمون النور بعد أن أسدل الستائر وقال سام :

ـــ الم يكن باستطاعتى أن أحضر من الباب مثل سائر الناس .

ـــ كلا فقد أردت أن تجرب الطريق . فقد تحتاج اليه فالحوادث تتلاحق .

وأشار القديس الى البوفيه حيث وضـــعت زجاجة وبعض الكئوس . وقال لسام :

ـــ خذ كفايتك من نبيذ البوربون .

وشرب السائق بعض كئوس ثم جلس فى مواجهة القديس وقال :

— لم يحدث شيء غير عادى فى القطار . وقد رأيت الرجل القزم ، وكان هادئا فى ركنه .

وجلس القديس جامد الوجه يفكر فى المعركة التى تنتظره ، فبالرغم من انهيار مصنع النقود الزائفة الا أن الصراع مستمرا ، وما زالت الارملة السوداء تعبث به . وقد عرفت بسهولة اسم المدينة التى يقصدها ، والغرض من زيارته فى حين أن سيمون لم يتمكن بعد من معرفة العلاقة بين العمليتين ، مع قيامها بدليل أن عدوته لاحقته بالتهديد حتى هنا . وكان غارقا فى أفكاره الى حد أنه كان يستمع الى سام بأذن شاردة وفجأة قاطعه قائلا : —

— ألم يتكلم مندوزا مع أحد خلال رحلته بالقطار ؟

— كلا ... آه تذكرت ، ولكنه حديث عرضى لا اهمية له .

— قص على ذلك .

— كنت فى مطعم القطار على مقربة من مندوزا . وقد تصنع بأنه لم يرنى ، أدبا منه ، واقترب منه رجل ضخم الجثة ، مخيف المظهر ، يرتدى معطفا يتدلى حتى قدميه وبيده كرباج ... واترك لك تخيل منظره وهو ممسك بكرباج داخل القطار .

وكان سيمون ينصت بهدوء . محاولا تصور المنظر .

وقهقة الرجل الضخم وهوى بيده على كتف مندوزا الذى انكمش بتأثير الضربة القوية وقال للرجل : —

— هل فقدت صوابك يا سيدى ؟

— هل نسيت أصدقاءك يا كابتن ؟ الا تذكر جريشام .. جريشام التمساح .. الا تتذكر يا كابتن ؟ ..

« فأجاب مندوزا بصوت أجش :

ـــ معذرة يا مستر جريشام . فهذا الاسم لا يذكرنى بشىء . والآن ....

ودس القزم انفه فى الطبق دون اهتمام بالرجل الذى مضى متذمرا ..

واختتم سام روايته بقوله :

ـــ الم أقل لك انه حدث عديم الاهمية يا رئيس .

ـــ هل أنت متأكد انه ناداه بلقب « كابتن » ؟

ـــ نعم بكل تأكيد .

ـــ وقدم نفسه باسم ..

ـــ جريشام التمساح .. ولعلك توافقنى على أنها صورة مضحكة لا يلتقى بها الانسان الا فى الاسفار ..

ـــ والان .. سآوى الى فراشى اذا سمحت لى الأرملة السوداء . وعليك بالحضور صباح غد أمام باب الفندق .

فقال سام باهتمام بالغ :

ـــ هل سيحدث عراك ؟

وأجاب القديس :

ـــ لا اظن .. لم يحن الوقت بعد .

وانتقل الى الغرفة المجاورة ، وخلع ثيابه ، وتمدد على سريره ، وبعد عشرة دقائق كان يغط فى نوم عميق ، وانقضى الليل هادئا ، ولم يحدث اى اتصال تليفونى ، ولا أى اشارة من جانب الارملة السوداء .

وعندما استيقظ لمح ورقة مطوية تحت الباب ، ففضها وقرأ :

« سأقيم صلاة على روحك » .

وكان التوقيع هو نفس الرسم الذى حملته الرسالة المرفقة بالزهور المرسلة الى مارى .

الفصـــل الحادى عشر

كانت السيارة تجتاز شوارع شيكاغو ، وبداخلهـــا القديس وحده ، والتفت اليه سام فجأة وقال :

ــ هل تعرف الحديقة العمومية ؟

ــ كلا ، ولا أريد معرفتها .

ــ أظن ان النزهة هناك ستروق لك .

ــ أوافق اذا كانت فى الطريق المباشر لوجهتى .

وضحك السائق ، وانتهز فرصة الاشارة الحمراء والتفت الى سيمون قائلا :

ــ اننى خبير فى الطرق المباشرة التى توصل الناس الى أهدافهم .

ــ لا اشك فى ذلك . وسأطلب منك تجربة فى يـــوم آخـــر .

وتحولت الاشارة الى اللون الاخضر ، وانطلق سام وهو يزيد من سرعة السيارة بتوتر ، وتابع الحديث :

ــ يجب أن تفهمنى يا رئيس .. اننى أشـــير الى الرجل الذى يتبعنا منذ رحيلنا من الفندق .. ولكننى أراهن على أنك لمحته .

ــ لعلك تتحدث عن هذا الرجل الضخم ، ذو الوجه الاحمر الذى يرتدى المعطف الواقى من المطر ، والذى يركب الشفروليه رقم ٢٣٢٢٠٧ أكس ؟

ــ تماما يا قديس . كيف عرفت كل تلك التفاصيل مع أنك لم تتحرك من مكانك ؟

ــ تكفى نظرة واحدة .

ــ وهل تتركه يتبعك ؟

ــ انه لا يتبعنى .

ــ أقسم لك أنه يقتفى أثرنا .

ــ كلا يا سام .. أنا الذى اقوده الى العنوان الذى اعطيته لك .

وساد السكون ، وراح سام يتعجب ، فبالرغم من كل ما يعرفه عن القديس ، فهناك دائما أشياء غير متوقعة فى تحركات المغامر .. ثم سأل :

ــ يلوح لى أنك تعرف شيكاغو تمام المعرفة ياقديس . أليس العنوان الذى أمليته على هو عنوان «جاس بيكر» ؟

ــ تماما يا سام . وقد انقضى وقت طويل لم أقابل فيه أوجاست .. لم أره منذ كسرت له ذراعه .

ــ هل كسرت ذراع جاس ؟

ــ نعم .. ولكنه كسر بسيط فى موضعين أو ثلاثة نقط .

ــ اننى مغتبط للغاية .

ــ من أى شىء ؟ الانك علمت بأننى كسرت ذراع أوجست المسكين ؟ أنك قليل الخير يا سام .

ــ لعلى لا أعرف الخير بالمفهوم الذى تعنيه ياقديس . ولكنى الذى اعرفه أننى اضطررت الى مغادرة شيكاغو ذات يوم وكنت أملك تاكسيا . فقد نظم عصابة ، واستحال على العمل هنا .. فاذا كنت بحاجة الى مساعدة لكسر ذراعه الاخر ..

واستقرت السيارة أمام واجهة منزل يحمل اللافتة التالية : « أ. بيكر . وسيط » .

وداعب القديس احد الاطفال الذين كانوا يلعبون على الرصيف وسأله :

ــ هل جاس فى المنزل ؟

وابان الطفل عن اسنان متفرقة .. وراح يغنى :

ــ « جاس .. ملك شيكاغو .. ملك الــ ...

وقال لقديس : ــ شكرا على تنبيهك له .

واجتاز عتبة الباب ، متجاهلا اشارة الحارس له بالتوقف وصعد ثلاث درجات أوصلته الى باب كتب عليه « خصوصى » ودفعه بقدمه ووقف وسط الغرفة يقول قبل أن يتمكن الرجل الجالس خلف مكتب ضـــخم من القيام : ــ سلاما يا جاس .

فزمجر بيكر : ــ أخرج اذا كنت تحرص على عظامك يا قديس . لا تنسى اننى لا أطيق ان أراك حتى ولا فى الصـــورة .

وجلس سيمون على المقعد المواجه لبيكر وقال :

ــ ولذلك يتتبعوننى منذ خروجي. اننى لااحب الكلاب الا عندما اختارها بنفسي .

وقال الشقى بسخرية :

ــ وما شأنى بمن يقتفى اثرك ؟ اتظننى الوحيد الذى يفعل ذلك ؟

وتبادلا النظرات . وكان جاس بيكر عملاقا ، بدين العنق ، حتى يبدو أنه مغروس مباشرة بين كتفيه ، ذو شارب مضحك ، يداعب باستمرار بسبابته ، وكان يفوح منه عطر منفر مثل عجائز المتسكعات ..

وعاد الرجل يقول : ــ ليس لدى من سبب يدعونى لاقتفاء أثرك .. صحيح ان هناك حسابا لم يسو بيننا ، ولكننى لم أحرر الفاتورة ، ولم أوازن الارقام ... هذا الى أن الفأل ليس مواتيا .

فقال سيمون ساخرا : ــ انك ما زلت تؤمن بالطالع والنجـــوم .

واستلقى فى المقعد الذى كاد يهوى ونفخ نفسا طويلا من الدخان فى وجه الرجل ، مما جعله يسعل .. وقال :

ــ ماذا تريد يا قديس ؟

— أريد أن أوجه اليك سؤالا واحدا : هل تشتغل أيضا بالقماش ؟

— لعلى قليل الفهم .

— سأوضح لك الامر .. فلنفترض أن ترويج النقود المزيفة كان من أهم اختصاصاتك ، ولكن لاسباب عرفها فانك قررت التوقف عن ممارسة هذه الصناعة المحرمة .. ولنفترض أيضا بأن الفرصة اتيحت لك للربح من القماش ... وعلى وجه التحديد يا جاس ، أقول : القماش المطرز بالذهب .. والمستورد من باريس .

وبصق الشقى خلفه ، وقال :

— كفى .. انصحك بأن تبتعد عنى .

وراح الاخير يتأمله فى اصرار وهو يفكر فى مستر جيلبرت ، ويستعرض فى ذهنه جثة رئيس الخدم الممدة على البساط فى الصالون . وسأله :

— كيف حال ذراعك يا جاس ؟

وارتسمت على شفتى بيكر ابتسامة شريرة ، وتابع سيمون حديثه :

— هل تمكنك من طعن رجل فى ظهره ؟

فقام الرجل نصف قومه ، ولم يتحرك القديس ، وزمجر الشقى :

— اكرر لك القول : ابتعد عنى ، اننى أعرفك منذ زمن طويل ، وعندما علمت بوجودك هنا ، اتخذت حيطتى .

وشهر مسدسه فجأة وقال بسخرية :

— عندى ضمانات الان .

وقال سيمون دون انفعال :

— ياله من مسدس جيد ، من طراز حديث .

— كفى خبثا .. وأخرج من مكتبى ..

وزاد من غيظه استخفاف القديس الذى استرخى على المقعد الكبير ، ومد قدميه واضعا كعبى الحذاء على المكتب ، وشعر الشقى بأمن وثقة فى النفس وهو يحرك مسدسه فى اتجاه سيمون الذى قال بغير اكتراث :

ــ لم اكن أعرف يا جاس انك جددت أثاث مكتبك استعدادا لزيارتى ، مما يشهد بأنك على ذوق سليم .. متى تتزوج ؟

ــ كفى .

ــ لماذا تغضب يا جاس ؟ ان الغضب صديق ضار .

وكان المسدس يهتز فى يد الشقى ... فهل فقد القدرة على المقاومة ، وأوشك على اطلاق النار ؟

وتكلم تمبلار بسرعة : ــ حسنا .. لا أود لك أن تهيج اعصابك ، ذلك يضر بصحتك .. وثنى ساقيه ، ونفث الدخان من فمه واضاف :

ــ من الافضل ان انسحب من هذا المكتب ، فهو شديد الاغراء ..

وبحركة مفاجئة دفع المكتب بساقيه ، فانهار على بيكر الذى سقط على الارض ، وافلت المسدس من يده وصرخ من الالم : ــ ذراعى .

ووقف سيمون وانحنى على الشقى الذى كان يتوجع وقال له :

ــ هل كسرت ثانية ؟ لن اغفر لنفسى ذلك . حقا اننى أخرق .

وعبثا حاول بيكر القيام ، فقد تدلى ذراعه اليمنى الى جانب جسمه ، وصرخ مهددا :

ــ سأقتلك يا قديس . هل سمعت ؟ وسأتلذذ بقطع جسمك اربا ..

ــ انك عديم المنطق .. فأنت تريد قتلى ، فى الوقت الذى طلبت منى فيه الرحيل . ولعل باستطاعتنا التفاهم، الديك معلومات عن ذلك الفستان المطرز بالذهب ؟

فزمجر الشقى : ــ يا قذر .

وانصرف القديس وهو يقول : ــ يا للادب ...

واجتاز الباب المؤدى الى الشارع ، وهم بالابتعاد عندما رى سيارة تتوقف بحذاء الرصيف ونزل منها رجل فاختبأ سيمون فى زاوية بين شارعين ، فقد كان يعرف ذلك الرجل ، وتركه يمر دون أن يراه ، ثم لحق بسام وجلس فى التاكسى ، وقال للسائق : ــ تمهل قليلا .

ــ لقد توقفت السيارة الشيفروليه التى كانت تتبعنا، هناك . ولم ينزل منها أحد ، ولا شك ان راكبها ينتظر انصرافك .

ولكن القدر شاء الا تقال الكلمتان ، ذلك اليوم . فقد أجبرت الاشارة الحمراء سام على التوقف ، وأراد أن يخترقها ولكن صفارة الشرطى الامرة أوقفته ، وبينما سيمون يحاور ويجادل الشرطى ، اختفت السيارة التى يطاردها .

وسأله سام بفضول شديد .

ــ من يكون ذلك الرجل ؟

ــ رجل رايته مرة واحدة ، رجل اراد ان انقذه من ورطة . رجل زعم أنه يواجه خطر الموت . رجل يهتم بالمجوهرات . انه المدعو « دول » ...

وابدى سام دهشته وبصق من نافذة السيارة وسأل القديس :

ــ اذا لم تكن تعرفه فلماذا تتبعه ؟

ــ لاتعرف عليه يا بنى . ولعلك تتفق فى أن الرجل الذى يزور صـــديقى القديم جاس بيكر فى نفس اليوم الذى أكسر فيه من جديد ذراع المسكين‌جاس ويستحق بعض الاهتمام .. أليس كذلك ؟

ــ نعم يا قديس .

الفصل الثانى عشر

اوقف سام السيارة فى ساعة متأخرة من بعد الظهر امام عمارة متواضعة المظهر ، وظل سيمون لحظة يتأمل المنطقة : الشارع القذر ، والاطفال الذين يلعبون على الرصيف فى ثيـــاب بالية ، والنســـاء اللائى يتبادلن الحديث وقوفا على أبواب منازلهن ، وقد شملتهن رقة الحال .. فقد كانت هذه هى شيكاغـــو القديمـــة : مركز البطالة والتعاطل .

وسأل القديس ، السائق :

ــ ما هى أخبار الشيفروليه يا سام ؟

ــ لم أرها منذ ساعة الغذاء ، وعندما رايت الرجل وانت تدخل المطعم ، نزل والقى نظرة على الداخل ، ثم انصرف .

وتطلع القديس الى الجدار ، فلم يرى سيارة ، وتردد قليلا ازاء هذا الهدوء المطمئن فان الخطر يكمن بلا شك خلف تلك الجدران المشئومة .

ونزل من السيارة وقال لسام : ــ اسرع ..

وتظاهر باعطائه اجر المشوار ، كما لو كان سائقا عاديا ..

وأبدى سام دهشته قائلا : ــ ولكن يا رئيس ...

ـ اذهب الى المجمع التالى ، واترك السيارة ثم عد الى المنطقة ، وافتح عينيك ، وراقب كل من يدخل أو يخرج من ذلك البيت .

فأجاب الاخر وهو يغمز بعينيه :

ـ فهمت يا قديس .. اذا احتجت مساعدة ..

ـ لا حاجة لى ، فاننى سأزور ميتا .

وصعد السلم قفزا ، وكانت هناك امرأة عجوزة تكنس درجات السلم ببطء ، ونفضت التراب على قدمى الزائر ، وتطلعت اليه بحذر وسألته :

ـ ماذا تريد ؟

ـ فلوريا .. ارثر فلوريا ؟ اهو هنا ؟

ـ غير موجود بل اننى لم اره منذ أيام .

ودفعها القديس برفق نحو الباب . وحاولت عبثا المقاومة ، ودخل الى الردهة ، وأشار الى السلم الخشبى المؤدى الى طابقى المنزل ، وسألها :

ـ الاول ؟ أم الثانى ؟

ـ قلت لك أنه غير موجود .

ـ حسنا .. وستتحملين مسئولية اقتحامى لمساكن الاخرين .

فرضخت المرأة وقالت : ـ الطابق الثانى .. والباب الاخير .

وصعد السلم بسرعة ، وقصد الى الباب المعنى ، وعالج الباب حتى فتحه ، وارتسمت على وجهه البرنزى ابتسامة ، بينما لمعت عيناه وقال :

ـ معذرة عن ازعاجى لك .

وكانت هناك امرأة منحنية على درج خزانة صغيرة ، فانتفضت ورفعت قامتها وصرخت وكان القديس قد أقفل الباب .. وكانت فتاة رائعة الجمال ، على مستوى

شقراوات هوليود فارعة القامة ، بارزة الصدر،وتأملته مشدوهة ، وسألته بصوت مخنوق :

ـ ما أنت ؟

ـ سنقول لك ذلك بعد لحظة .. والان ابتعدى عن هذه الخزانة .. وأشك فى أنك ستجدين بغيتك هنا ..

ـ ما أنت ؟

ـ جنرال مهـزوم .. ولكن ماذا سـتفعلين بذلك الفستان المطرز بالذهب ، فالذهب لا يناسب الشقراوات ولكن الاخضر يناسبك الى حد كبير .

فارتسمت على وجهها ابتسامة عجيبة . وبحركة فائقة السرعة . شهرت على سيمون مسدسا وقالت :

ـ أما الذى يناسبك أنت أكثر هو ان ترفع يديك الى اعلى حد ممكن .

ـ هكذا .. أيتها الشقراء الجملية ؟

ـ تماما .. انك مطيع جدا ..

وتقدمت منه دون أن تخفض سلاحها الذى شهرته مستوى صدرها وتنهد هو قائلا :

ـ ما الذى ينبغى أن افعله أيضا رضاك يا سيدتى ؟

ـ ان تظل على وضعك . ولعلنا نجد وضعا آخر أطرف .. كأن تضع ذراعيك على صدرك . وتشبك يديك .. مع رسم الصليب .. أو بدونه ؟

ولم يجب ، بل تأملها بنظراته الحالمة التى طالما هزب قلوب النساء ثم قال :

ـ شعر من الذهب الخالص .. وجه يسحر العابدة. عينان صافيتا الزرقة .. ولكن يا للخسارة ، فان ذلك البهـاء يقترن بذوق معتـل . ويجب تصحيح ذلك يا آنسة .. ما اسمك ؟

وعلا صدر الفتاة الجميلة بسرعة مفرطة ، واحست بهزيمة أمام هذا الرجل الذى يسخر من التهديد ، غير عابىء بالمسدس المشهر فى وجهه .. الا أنها تريد أن تصرعه على الفور ، وأجابته :

— لو وجدتك يوما أمامى ، وبيدك مسدس ، فسأقول لك اسمى أما الان فأريد معرفة اسمك أنت ! ... وماذا تفعل فى هذه الغرفة الغريبة عنك ... و ...

— لا داعى لكل هذه الاسئلة أيتها الشقراء .. فانى اسمى هو تمبلار .. وبالنسبة للفتيات الجميلات فان اسمى سيمون .

واهتز المسدس فى يدها وقالت بدهشة ..

— انت سيمون تمبلار ؟ القديس ؟

— يا للمجد .. الجميع يعرفوننى فى شيكاغو .

— أنت القديس .. أنك تؤثر فى ، وقد أصبح الامر جـديا .

— اكثر جدية مما تتخيلين : لان القتل هو أعلا مراحل الجـدية .

— ولكننى لم أقتلك بعد .

فانحنى امتنانا . والواقع انها لم تحاول حتى الضغط على زناد المسدس . وكانت تشعر بهيبة أمام هـذا الرجل الذى اعتاد مواجهة الموت كل يوم ، وقال دون أن يرفع بصره عنها :

— كنت أتحدث عن مقتل خادم يدعى ابوت .. وكان يعرف باسم آخر : ارثر فلوريا هل أنت من صديقاته ؟

— فلوريا ، هذه هى المرة الاولى التى أسمع فيهـا بهذا الاسم .

— يا للغرابة .. انك لا تعرفينه .. ومع ذلك منهمكة فى تفتيش أثاثه :

ــ هل من الضرورى معرفة اسم المسروق ؟
ــ اجابة سديدة أيتها الشقراء ، انك تجيبينى على طريقة صديقى القديم « لا باليس » . وكانت جدتى تقول لى غالبا .. لعلك لم تسمعى البتة عن جدتى ؟
فأجابت بصوت قاس يشوبه الغضب :
ــ كلا . هذا الى اننى أهزأ بجدتك .
ــ يا آنسة .. أرجو احترام أسرتى . وبالرغم من اننى أكره المغالاة . ولكن التعب يجعلنى أطلب منك انزال يدى فى وضع عادى .
فقالت بصوت مقتضب : كلا .
وابتسم القديس ابتسامة هادئة ، ولم ينقطع عن التطلع فى أنحاء الغرفة ، وكانت غريزته تنذره بأن الخطر يتزايد من حوله . ولكنه ظل محتفظا بمظهر عدم الاكتراث وهو يجيب الفتاة التى شعر بتوترها :
ــ سأضطر الى تكذيبك ...
ــ يلوح لى يا مستر تمبلار أنك فى وضع يجعلك تدرك المخاطر ، وتعلم ماذا سيحدث لو ضغطت على زناد المسدس .
ــ تماما .. ستتلقين سيجارة ، ولو ضغطت عليه مرة ثانية ، فسأتلقى أنا سيجارة هذه المرة .
وصاحت هى بذهول شديد وهى ترخى ذراعها : ــ أكنت تعرف .
وجلس على مقعد ، وتطلع من جلسته الى النافذة التى لا يبدو أن الفتاة أسدلت ستائرها ، وضحك مغتبطا وقال :
ــ اتعنينى أن كنت أعرف ان هذا المسدس ، يوزع النيكوتين ، لا الخلود ؟ نعم أيتها الشقراء .. وقد كان عندى نفس المسدس الذى يوزع السجائر عندما كنت

فى المدرسة . وكان ذلك هو اول سلاح احرزته ــ وكنت استعمله لمداعبة زائرتى من البنات الجميلات .

ولماذا رفعت يديك اذن ؟

ــ لارضائك يا أجمل من فتيات هوليوود . ولابقى على ثقتك فى نفسك .

وهزت منكبيها غيظا ، لافتضاح حيلتها . ودارت على عقبيها ، واقتربت من الخزانة التى بقى درجها مفتوحا ، وأولت سيمون ظهرها .. وتابع هو حديثه ببطء .

ــ والان وقد تحققت الى أى حد كنت ظريفا معك ــ فهل لك أن تخبرينى عن موضة السيدات هذا الموسم ؟

وأبدت دهشتها لان اسئلة هذا الرجل الشيطان دائما ما تكون مضللة .

وعاد يوضح سؤاله : ــ هل سيلبسن ثياب السهرة المطرزة بالذهب .. والمستوردة من مصمم الازياء الفرنسى الكبير روزييه ؟

فضحكت كمن اختل شعورها وقالت :

ــ طبعا .. ولكن يجب توفر الامكانيات لبعثرة النقود .

ــ هذا صحيح . لابد من امكانيات كافية لشراء وشائج الذهب . ولكن لماذا التعلق بهذا الطراز من الفساتين ؟

وتخلى فجأة عن مظهر عدم الاكتراث ، وتقدم نحوها وامسك بقبضتيها وقال لها : ــ أريد اجابة .

واتسعت حدقتا الفتاة ، وغزاهما الرعب . وسمع صوت يصرخ : ــ كلا .

ولم يتسع له الوقت ليلتفت خلفه فقد دوت فى الغرفة طلقات نارية من مسدس مكتوم الصوت . ودار القديس

على عقبيه ورأى ماري واقفة على عتبة الباب بدون سلاح ، وذراعها ممتدة صوب ستائر النافذة . ولم يهتم بأمرها ، بل أمسك بجسم الفتاة التي ارتمت على خزانة الملابس . وحملها الى السرير ، وكان ثوبها قد تلطخ بالدم . وقال وهو متحسر .

— لماذا لم تتكلمي قبل ذلك ؟

ورفعت الفتـــاة مقلتيهـــا والتقت بعيني القــديس الزرقاوين ، وارتسمت ابتسامة على الشفتين الجميلتين :

— انني .. انني أدعى ... نورما .

وتشنج جسمها مدة أو مرتين ثم جمد .

وتمتمت ماري بسرعة ، وهي بالقرب من السرير ، في مواجهة سيمون :

— سيمون ... سيمون ... سيمون ...

— لم يعد في قدرتنا شيء يا ماري ، تعالي ..

وجـــذبها مسرعا ، واغلقا الباب بعد انصرافها . وكانت الطلقة مكتومة فلم يسمعها أحد من سكان المنزل وقفز سيمون السلم مسرعا ، وكانت المرأة العجوزة ما زالت في مكانها ، فقال لها :

— الى اللقاء ..

ولمح سام واقفا في زاوية الشارع ، يقوم بدوارية الحراسة . فسار اليه ، وهو يسند ماري التي كانت تترنح ، ولزم هو الصمت حتى اصـــبحا في السيارة ، فطلب من السائق ان يذهب الى فندق كربتون .

وارتمت ماري على عنقه ، وقالت وهي تنتحب :

— آه يا سيمون .. هذه التعيسة ..

— ما الذي اتى بك الى هنا يا ماري ؟

فدست يدها في احد جيوب معطفها ، واخرجت منه ورقة مكرمشة وقالت :

ــ لقد تلقيت هذه الرسالة فى فندق كريتون .
وقرأ سيمون :
« مارى ، تعالى فورا فى المنزل رقم ١٢٥٨ ، الشارع الخامس والاربعين بالطابق الثانى ، الباب الاخير ، وستجدين المفتاح فى قفل الباب »
وكانت الرسالة موقعة باسم « سيمون » .
وقال سيمون : كانوا على علم تام بتحركاتى ، والآن .. اسمعى يا مارى : عندما اطلب منك البقاء فى مكان فعليك الا تتحركى بتاتا ، والا تستجيبى لأى رسالة ، او اى نداء تليفونى .
ــ اهى رسالة مزيفة ؟
ــ طبعا .
ــ ولكننى اقسم لك يا سيمون ..
ــ لا داعى للقسم . واخبرنى . هل كانت المرأة العجوز هناك عند وصولك ؟
ــ لم يكن هناك أحد . وقد صعدت الى الطابق الذى ارشدتنى .. ارشدونى اليه . وكان الباب مفتوحا قليلا
وكان سيمون متأكدا من انه اغلقه خلفه !
وتابعت مارى حديثها :
ــ ودفعت الباب .. وفى هذه اللحظة رأيت يدا تمتد من بين ستائر النافذة .. يدا ترتدى قفازا وتحمل مسدسا .. وصرخت لا حذرك ..
ــ يد رجل ام يد امرأة ؟
ــ لا أدرى .
ولزم الصمت . فقد بدا كل ذلك واضحا كل الوضوح ومتشبعا الى اقصى حد ، وعندما وصل الى الفندق ارسل مارى الى غرفتها لتستريح . واستدعى سام ليسمع تقريره عن المدة التى قضاها فى الانتظار والمراقبة وقال سام :

ـ لم ار أحدا يدخل .
ـ لا أحد .. ؟ .. وماری ؟
ـ ولم ارها .. وليس باستطاعتى توجيه الاتهام .. ولعلى ادرت رأسى لحظة ..
ـ ادرك ذلك .. ولكن دعنى الفت نظرك الى ان وظيفة « اركان حرب » التى أوكلتها اليك تفرض عليك بعض الواجبات وأهمها الا تدير رأسك عندما تكون قائما بالرقابة ..

الفصل الثلث عشر

كان الشارع مظلما ، حزين المظهر ، لا يضيئه سوى مصابيح بعض السيارات التى تمر من وقت لآخر ، ولا يسمع فيه خطوات رجال الشرطة البطيئة . كما كان الضوء يتسرب قليلا من الباب الذى يحمل لافتة كتب عليها : « الخنزير الضاحك » .

ودفع القديس الباب ، ونزل السلم فاستقبله احد الخدم وهو يتثاءب ، وتصاعدت انغام تدعو الى الحنين الى الوطن من بيانو ميكانيكى . واتجه سيمون الى الباب ـ وكان واقفا خلفه رجل غريب الهيئة طويل القامة نحيف كالهيكل العظمى ، طويل الوجه كالجواد ، طويل اليدين وصاح الرجل :
ـ حقا .. انه القديس
وامسك سيمون بمقعد طويل ، استوى عليه عند البار ثم قال :
ـ وانا اراهن انك « تونى زور » بنفسه : كيف حضرت الى هنا يا تونى ؟

وأبان الرجل عن اسنانه الطويلة ، الصفراء وهو يبتسم :

ــ انتهزت فرصة انشغال الحارس عنى ، وكان موليا ظهره لى ، وتسللت على اصابع قدمى .. ماذا تريد ان تشرب يا قديس ؟

ــ زجاجة من البيرة يا تونى . ولكى دعنى ارى من اين تأخذها ، وافتحها امامى ..

فقال تونى متذمرا : ــ فلتكن الثقة اساس المعاملة . واصارحك القول ياقديس بأنك انكنت سببا فى انأطيل بقائى فى السجن خمسة اعوام اضافية ، فليس معنى ذلك ان اصبح موضع شكوكك . فلست رجلا شريرا ..

ــ حقا .. اذن فهناك من هو اسوا منك :

وفتح تونى زورك زجاجة البيرة امام القديس،وملأ منها قدح القديس ، ثم افرغ الباقى فى قدح آخر وشرب جرعة واحدة قائلا :

ــ أرأيت اننى لم أمت .. خبرنى يا قديس ما هو الهدف من مجيئك الى هنا ؟

ــ هل تصدقنى يا توتى اذا قلت لك اننى جئت لاراك ؟

ــ كلا . فانك لم تكن تعلم بهروبى ـ

ــ الحق معك . فانا ابحث عن مابل .

وتناول الهاربمن السجن فوطة مسح بها البار ثم قال :

ــ صاحبة البار ليست هنا يا قديس ، وبصراحة ، فانها لم تحضر منذ اسبوع ــ وقد بدأت أحسبالقلق .

فسأله القديس : ــ لماذا لا تخطر الشرطه ؟

ونمت عينا تونى عن الحرج ، وقال سيمون مؤنبا :

ــ انك تدعى الصراحة .. فما رأيك فى هذاالكذب؟

وفتح الباب وظهرت مخلوقة ضخمة الجثة ، كأنها كتلة من اللحم والشحم شقراء الشعر ، مرهلة الرقبة والمنكبين ، والصدر ، والفخذين .. حتى ليتساءل المرء : كيف تتحرك هذه الكتلة ؟ وكيف تعيش ؟

وتصاعد منها صوت رقيق يقول : — هذا هو القديس

وقال المغامر : سلاما يا مابل

وأقبلت عليه تقول : — انه يتفضل منك أن تحضر الى هذا الحى لزيارة الأصدقاء

وتصاعدت منها رائحة الدهن المختلطة بالعطر الزهيد الثمن ، وتهالكت على أحد مقاعد البار ، ودعت سيمون الى الجلوس فى مواجهتها . وكان تونى قد رص الكؤوس أمام الزبائن الذى راع انتباههم حضور مابل لحظة ، ثم انصرفوا عنها . وقالت هى :

— ماذا تريد ياقديس ؟

— اريد ان اتحدث معك يا مابل .

— على اى شىء ؟

— عن فستان مستورد من باريس ، وعن رئيس خدم مات بطريقة شنيعه وعن شقراء رائعة قنعت برحلة الى المشرحة ، بدلا من ان تجرب حظها فى هوليوود .

— مثير !

— لك حرية الاختيار .. بم تبأدين الحديث ؟

وقهقهت مابل وقالت : — كنت افضل الايضاح ، فانا لا احب الالغاز .

— حسنا .. فرئيس الخدم يدعى فلوريا .. هل تذكرينه ؟

— أرثر فلوريا ؟ هل مات ؟

وتأمل القديس ذهول المراة البدنية ، والسجن الهارب ، تونى وهما يتساءلان : هل مات فلوريا ؟ مستحيل .

ـــ نعم .. لقد اراد البعض تهدئة غضب الآلهة ، فاختار فلوريا ليـــكون الدجاجة المقـــدسة . لقد طعن المسكين طعنة قاتلة .

وتغيرت سحنة مابل ، وعدلت من جلستها ، وانحنت الى الامام ، وبالرغم من ان صوتها ظل عاليا ، فان كل ما بها قد تغير كما انها ضربت بعصا سحرية .. وقالت

ـــ من الذى فعل ذلك يا قديس ؟

ـــ كنت اعتمد عليك لتقولى لى من الفاعل ؟

فهزت منكبيها الضخمين وقالت :

ـــ وانى لى أن أعرف ؟ اننى لم ار فلوريا منذ شهور .. منذ ان افترقنا .. وانى اتساءل عمن يحقد على رجل مسكين غير عدوانى مثل آرثر ؟

فقال القديس محتجا :

ـــ لعلك تبالغين قليلا يا مابل فى التقليل من خطر ارثر .

ـــ كلا .. لقد كان لصا صغيرا ، بدون طموح . واين حدث ذلك ؟

ـــ قلت لك انه كان يعمل رئيسا للخدم ، وقد قتل فى مقر عمله .

وقطعت مابل وجهها الاحمر البدين من الدهشة . ولكن أين كان يعمل ؟

وقال القديس وهو يتابع مابل ببصره :

ـــ كان يعمل عند مسز جيلبرت .

وانتفضت مابل ، رغم تمالكها لاعصابها ، واقشعر بدنها ، وتمتمت : « مستر جيلبرت ؟ »

ـــ وهل تعرفينها ؟

فاستدركت وقالت : كلا .. كلا ..

ـــ هذه طريقة غريبة لا بداء النفى ، وهى تشبه كلمة : نعم :

وتحركت مابل ، وكادت تقع . وتملكت واستطاعت القيام بعد جهد وامسكت بيدها الرقوتين يدى سيمون ، وارتسم على اساريرها تعبير القسوة ، وانحنت على القديس تقول :

ـ اسمع يا قديس .. وليس فيما سأقوله اعترافا .. فلست اهتم بمن قتل فلوريا . لقد كان لصا قذرا . ولم يكن ما حدث له تجنبا عليه .

ونهض القديس دون ان يلفظ بكلمة واتجه الى الباب وهرولت مابل خلفه ، وعندما ادرك السلم ، التفت اليها وسألها :

ـ لماذا لم تمارسى السيرك يا مابل ؟

فانتفضت ، ورفعت هامتهـــا ، كما لو أهينت ، وقهقهت بضحكة حقودة وقالت :

ـ اتظن يا قديس اننى كنت دائما بمثل هذه الضخامة

وضربت بيديها على وسطها ، وانصب غضبها فى هذه اللحظة على جسمها ، أكثر منه على سيمون وقالت :

ـ لقد كنت راقصة يا قديس ، اسمعت ؟ كنت اقوم برقصة الملائكة .. وكانت الطلبات تنهال علينا من كل مكان .

ـ انت ومن ؟

ـ انا مع زميلين

وقال القديس بانحناءة خفيفة :

ـ معذورة يا عزيزتى مابل اذا كنت قد جرحتك . وآمل ان تطلعينى على ذكريات هذا العهد الذهبى . ولابد انك تحتفظين ببعض البرامج والاعلانات ؟

وتطلعت اليه بتعبير غريب ، ثم هزت راسها قائلة :

ـ لا شىء .. انصرف الآن يا قديس ، فانا لا احب الكلام عن ذلك العهد

ــ وما هو مصير زميليك ؟
توفيا . .
وأولاها ظهره ، وصعد السلم ، وأدرك الشارع ، ورأى شرطيا بالقرب من الباب يتفــرس فى وجهه ، فاعطاه سيمون سيجارة ، وقال له الشرطى :
ــ انصحك بالا تتجول كثيرا فى هذا الحى ، فان اناقتك ستثير اطماع الاشرار فيك .
قال ذلك دون ان يدرى ان هذا الرجل الاشيف هو القديس الذى يرهبه الاشرار جميعا .
وانصرف بطيئا ، ورفض عرض سائق تاكسى ، ولم يكن قد اصطحب سام ، حرصا منه على ان يبقى بمفرده وهو أمر ندم عليه ، فما كاد يصل الى زاوية الشارع ، حتى خرج رجل من بين العمارات . واحس تمبلار بشىء يلمس وسطه ، ولم يخدع فى ظنه .
وسار الرجل بجانبه وقال له :
ــ هل تعرف اصدقاءك يا قديس ؟
ــ لست اذكر هذا الوجه . . ولكن عندى فكرة عن المسدس .
ــ وهذا هو المهم يا قديس . فان الرئيس يريد مقابلتك . .
وكرر المغامر القول : ــ الرئيس . . اننى لا اعرف الا رئيسا واحدا .
ــ وانا ايضا . . انه جاس بيكر
ــ كيف حال جاس العزيز ؟
ــ انه يصر على اطلاعك على اخباره بنفسه .
ــ الا تظن انه يكفى ان ننقل له تحياتى ؟ وبالمناسبة كيف حال ذراعه ؟

ــ انتبه لذراعك يا قديس . فانت تعرف ما سيحدث لك لو حاولت استعمالها .

ــ الواقع اننى لست متأكدا .

ــ اما انا فواثق .

فقال تمبلار : اريد ان ابرىء ذمتى .

وسدد قبضته الى وجه الرجل بسرعة خاطفة . ولم يتسع الوقت امام الرجل ليرد الضربة . لا بيده ولا بالمسدس . وانهار على الأرض دفعة واحدة . وجره سيمون الى جوار أحد المنازل ، كأنه سكير غلبه النوم .

وحث نفسه :

ــ حقا انكم تعقدون حياتى .

الفصل الرابع عشر

كانت الساعة قد دقت العاشرة صباحا عندما دخل سيمون مسرعا الى احدى العمارات التجارية الكبيرة . ووقف فى الردهة يبحث فى اللافتات المعلقة عن اسم الشخص الذى يريد مقابلته ومكان مكتبه وعندما وجد بغيته استقل المصعد وتوقف فى الطابق الثانى والعشرين حيث وجد بسهولة مكتب مستر برناردت ، ورأى سيدة تخرج منه ، وبعد دقيقتين دخل هو .

كانت الردهة الصغيرة خاوية فاجتازها مسرعا الى ملحق بالمكتب الرئيسى واخذ يقلب اوراقا على منضدة ، وكان منصرفا عما حوله حتى انه لم يسمع صوت الباب الفاصل يغلق . وفجأة .. سمع صوت مكبر الصوت التليفونى يقول :

ـــ الآنســـة بلوبيرج .. اننى انتظرك بعد خمس دقائق .

وصمت الصوت ، وتقدم سيمون مبتسما . وفتح باب غرفة مستر برناردت قليلا ، ولمح مستر برنارديت جالسا ، وكان متوسطا فى كل شىء : قامته ، واناقته وبرق ذكائه .

وكان مستر برنادرت منهمكا فى قراءة الخطابات ، وهو يبدى اشارات استحسان او استهجان وفقا لمايقرأه وبدت الفرصة مناسبة ، فتسلل القديس الى الغرفة بخفة وجلس امام الآلة الكاتبة . وشعر مستر برناردت بهذا الوجود . فمال الى الخلف وهو يقول :

ـــ اكتبى هذا الخطـــاب الى مـــكتبنا فى باريس :
« السيد المحترم : الحاقا بخطابنا .. »

وتوقف ـــ ، وانتفض فى جلسته ، وجحظت عيناه خلف نظارته وقال :

ـــ ولكنك .. لست الآنسة بلوبيرج
ـــ هذا اقل ما يمكن قوله يا مستر برنادرت .
ـــ هل أنت مجنون ؟ ما معنى هـــذا التســـلل الى مكتبى ؟
ـــ معذرة . فاننى مصاب بهذا المرض المزمن الذى يعترينى من وقت الى آخر ، ويجعلنى اشعر برغبة فى دخول مكان ما بدون علم سكانه الحقيقيين .. وعلى هذا .. فهل انت وسيط تجارى يا مستر برناردت ؟

ـــ نعم .. ومن أنت ؟
ـــ شخص عجيب جدا .. سأوجه اليك بعض اسئلة راجيا التفضل بالاجابة عليها :
ـــ اى اسئلة ؟

واقترب القديس من المكتب ، وجلس على مسند احد المقاعد الجلدية الكبيرة المواجهة للوسيط التجارى ، وسأله :

ـ هل صحيح انك وكيل محل روزيبه للازياء فى امريكا ؟ او هى اشاعة .

فقال مستر برنارت مزمجرا :

ـ هذا صحيح .. وصحيح أيضا انك تشعرنى بأنك مجنون .

ـ لا أهمية البته للشعور الذى اعكسه على الآخرين وتصور اننى أعد نفسى معنيا بكل جريمة قتل ، وبخاصة اذا كانت قد ارتكبت تحت بصرى .

فقال الوسيط التجارى متذمرا :

ـ جريمة قتل ! لا شك انك قادم من مستشفى الامراض العقلية .

ـ سنجرى تجربة فى التحليل النفسى مرة اخرى . اما الآن ، فيجب اعطائى معلومات عن فستان مطرز بالذهب باعة محلكم .

وهز برناردت منكبية قائلا :

ـ لا أدرى .. ولست ملزما بتقديم معلومات .

ـ آه : بدأت أن افهم . ان مسز جيلبرت هى أحسن زبائننا . وهى تقيم فى باريس شهرين او ثلاثة شهور كل عام ، وتحمل معها فى كل مرة احدث مبتكراتنا .

وانحنى القديس ودق صدر الوسيط بابهامه وقال :

ـ تابع الحديث .. وحدثنى عن ذلك الفستان وتصور انه ارتكب جريمة قتل من اجل الحصول عليه .

ـ انك تسخر منى . فالقتل لا يرتكب من اجل فستان هذا الى اننى لم اباشر العملية بنفسى ، بل قامت

مساعتى بتسوية مشتريات مسز جيلبرت الأخيرة .
— هل تدعى مساعدتك : مابل ؟
فسأله برناردت — ولماذا مابل ؟
— هل تكون نورما ؟
— انك تسخر منى يا سيدى ، مادمت تعرفها فعلا .
— انها فتاة رائعة الجمال ، جديرة بان تظهر الى جانب فرانك سيناترا ..
— تماما .. وها انا ارى انك تعرفها حق المعرفة .
وبابتسامة مرة ، القى على المرآة المواجهة له ، وابتسم القديس وقال :
— لن يطول حديثنا يا مستر برناردت . واقترح عليك قبل ان انصرف بان تختار مساعدة اخرى .
— ولكننى مسرور من خدمات نورما .
— لقد تركتك نورما يا مستر برناردت . واذا كنت تصر على رؤيتها فاسرع بالذهاب الى المشرحة ، صندوق رقم ٢٧ ، طاب صباحك .
وفكر سيمون وهو عائد بالمصعد الى الطابق الأرضى ان كل حدث من الاحداث يتخذ مكانه مثل الكلمات المتقاطعة ، وباستطاعته الآن ان يحدد دور كل من الممثلين . على انه بقيت امامه زيارة يقوم بها قبل ان يلعب بالورق الذى احتفظ به فى يده ..
وعندما وضع قدميه على الرصيف ، احتك به رجل وتعلق به بحيث شل حركته ، ومن حولهما الناس يضحكون بضجة . واحس سيمون ، مرة اخرى بضغط المسدس على وسطه .. وتمتم :
— انت ... مرة اخرى .
وتعرف على رسول جاس بيكر .. الذى قال له وهو

يصر على أسنانه :

ــ الرئيس ينتظرك

ــ حسنا .. سأكلفك برسالة تحملها له يا صديقى .. ولكن كيف حال فكك أولا ؟

ــ بحالة سيئة . فان يمينك قوى اللكمات . ولكن ثق إن ذلك لن يتكرر .

وكان الناس يتدفقون من حولهما ، جيئة وذهابا . وكان حوارا عجيبا حقا ذلك الذى يدور بين الرجلين ، وجها لوجه ، يربطهما ذلك المسدس الخفى الذى يضغط به القاتل على تمبلار ..

وقال الرجل : لا تحاول الافلات ، فنحن على استعداد انا والفريد .. والفريد هو اسم مسدسى ، فاذا تحرك يمينك يا قديس .. فسيتحرك الفريد أيضا .

وتنهد سيمون طويلا وقال : انكم تواصلون تعقيد حياتى ..

وقال الآخر : ــ هيا .. سر ، فان بيكر يقرض اظافره الآن من قلق الانتظار .

ــ قل له ان يحضر لمقابلتى . وهاك عنوانى .. فندق كريتون ..

ــ اننا نعرف مكانك . ولولا نزور جاس لذهبنا اليه من قبل ، وهو يريد ان تحضر أنت . هيافانزنادالفريد .. وحذار من استعمال يمينك

وكان الصوت يحمل فى طياته التهديد الجاد . ولكن سيمون ظل محتفظا بهدوئه وقال :

ــ اتراقب يمينى بدقة ؟

ــ ليس هناك خطر من ان اراقب شيئا آخر .

ــ اواثق انت ؟

ـ لقد قلت لك .

ـ لن اتردد اذن .. يجب ان استعمل اليسار .

واقترنت هذه الكلمات بكلمة قوية ، كاد الرجل يقع من تأثيرها ، ولكن اليد الحديدية تلقفته حتى لايسقط ويلفت انظار الماره ، ودفعه الى احد الخياطين ، وتركه بين بموذجين من المانيكانات . ومضى فى طريقه ، وفى اول منعطف فتح باب سيارة وسمع صوتا يناديه : سيمون ..

وكانت مارى تنتظره داخل السيارة ، فصعد ، وكان سام يجلس الى عجلة القيادة ، وتعلقت به مارى وهى تقول :

ـ عزيزى سيمون .. لقد تأخرت كثيرا ، وكدت اجن من القلق ..

ـ لا ينبغى ان تقلقى يا صغيرتى .. اين خالك ؟

ـ لا أدرى . لقد التقى بخالتى وحدثت بينهما مناقشة طويلة ، ثم انصرفا سويا .

واشعل سيجارة واخذ يقول بتفكير وسموع :

ـ الا تجدين من الغرابة يا مارى ان مندوزا ومسز جيلبرت يتوسلان الى المجىء لمساعدتهما ، فى حين لا أراهما بتاتا ؟ ..

ـ لا أدرى ، ولا افهم ..

وسأل سام : ـ الى أين نذهب

ـ هل تعرف وكالة فنية جيدة فى شيكاغو ؟

ـ هل تريد اقامة لعبة .. اشركنى فيها اذن

ـ اعتمد على .

ـ فلنذهب اذن

وزاد من سرعة السيارة متجها الى غرب المدينة الكبيرة .

وهزت ماري راسها قائلة : — انني لا افهمك يا سيمون ، انك بصدد جريمة قتل .. فقد قتلوا فلوريا ثم تلك الفتاة المسكينة .

وارتعدت ، وتقلصت يدها على ذراع سيمون الذى اخذ يوضح لها :

— انك تنسينى بعض التفاصيل الصغيرة ياعزيزتى مارى سرقة الفستان المطرز بالذهب .. وهنا يكمن السر كله .. ولهذا ايضا حاولوا قتلى انا مرتين او ثلاث مرات . ولكن بشرتى متينة .. امتن مما يتصورون ..

— انك رائع يا سيمون

— ايكون هذا هو رايك ، لو انك الأرملة السوداء .

فقالت بازدراء : — هل جننت ؟

— لحسن الحظ .. اننى اصبحت مجنونا خطرا .. وهذا هو دائما تأثير الشقراوات الحسان على ..

وابطأ سام من سرعة السيارة ثم اوقفها ، ونزل قائلا :

— انتظر هنا يا قديس وسأذهب لأرى عما اذا كان زميلى ما زال يقطن زاوية الشارع وسرعان ما عاد متهللا ، وبصحبته رجل يشبه قطعة من البطاطس وضعت عليها ثمرة طماطم صغيرة الحجم جدا ، فقد كان شعر رأسه بلون الجزر : وتقدم الرجل منحنيا وقال :

— لى الشرف بان أحى بصوت خافت تمبلار ، العالم الشهير ، مثال الفضيلة ، والشجاعة ، مرعب الأشقياء ، دون كويشوت .. العصور الحديثة

وقدمه سام : — زميلى ، الكابتن ريد جفليد .

واضاف الآخر : — كابتن هارولد لوسيوس ريدجفيلد

فى خدمتك . احسن وسـطاء الاعلان واشهر وكيل للفنانين والفنانات ، وامهر منظم للحفلات فى امريكا كلها

ونزل القديس من السيارة وهو يضحك ، واعتمدت مارى على يده لتلحق به . وصاح ريد جفيلد متعجبا :

ــ امن أجل هذه الفتاة التى تمثل الجمال مجسما ، جئت تطلب خدمتى ؟ يا للروعة .. افى خلال بضعة شهور ، وربما بضعة ايام ، ستبهر الولايات المتحدة بل العالم كله ، بوجهك وبعد غد ، وربما غدا ، ستصلك عروض من شركة متـــرو .. الا اذا كنت تفضلين البارامونت ..

وقاطعه القديس قائلا : ــ ليست الآنسة فيرغا بحاجة اليك .

وكتم المنتج رجفته ، والقى نظرة قصيرة على المرأة الشابة ، ثم انحنى محييا من جديد وقال :

ــ أمن أجلك يا مستر تمبلار ؟

ــ ولماذا لا ؟

ــهل تقبل القيام بجولة ؟ سننظم لك سلسلة من الدفلات ..

وتقدمهم الى مكتبه واشار الى المقاعد ، وجلس هو على مقعد متحرك واشار الى زجاجة من الويسكى واقداح فى متناول يده وقال :

ــ فليخدم كل نفسه كما يشاء

وحرص سام على الا يستغل الفرصة ، اما سيمون فقد تأمل الوسيط وهز راسه قائلا :

ــ يخيل الى ان سام قد اخطأ التقدير ، فانك تبدو شابا .

ـــ مهلا .. فانا الممثل الحالى لآل ريد جفيلد ، وقد سبقنى كثيرون واشار الى سلسلة من الصور المعلقة على الحائط وقدم اصحابها :

ـــ كابتن هارولد جوليوس ريد جفيلد ، الذى احمل القابة .. كابتن جوليوس لوسيوس ريد جفيلد ، الذى القـــابه .. ماجور ويليام لوسيوس ريد جفيلد .. كابتن استيرلوسيا ريد جفيلد ، امى .. واخيرا انا بنفسى .

ودار على عقبيه وادى التحية ، واشار القديس الى سام اشارة الرضا : فقد يتمكن الكابتن ريد جفيلد من اكتشاف المفتاح الذى ينقصه .

وسأله سيمون : ـــ هل تعرف مابل يا كابتن ؟

ـــ اى مابل ؟ مابل ماكجوير .. أو مابل روزوفسكى ؟ .. أو مابل مابيليا ؟

وهز القديس راسه عند كل اسم ، وقاطعه قائلا :

ـــ مابل فلوريا .

وضحك ريجفيلد ضحكة مكتومة وقال ساخرا :

ـــ برج مابل : كيف لا أعرفها وقد جائتنى منذ وقت قصير تطلب استعادة دورها القديم . واحتس كأسه وهو يغمض عينيه ، ثم فتح مقلتيه وتأمل سيمون طويلا وسأله :

ـــ اى اكذوبة جرؤت عليها ايضا .

ـــ لا أدرى شيئا حتى الآن الا انها تزوجت فلوريا .. وكان ذلك شؤما عليه .. اليس عندك مرجع عن هذه المراة البدنية ؟ انها تتباهى بانها كانت نجمة معروفة .

فقال الكابتن ريد جفيلد : ـــ انها تغالى .. ولكن رقصتها كانت ناجحة فى حينها .

وادار مقعده وفتش فى احد الادراج ، واخرج منه كومة من الورق الباهت اللون . والقى عليه نظرة ، ثم مد يده بها الى القديس قائلا :

ــ اخشى الا تتعرف عليها هنا .

وكانت الصور والاعلانات قديمة ، وبينها صور مابل ولكنها تختلف عن صاحبها الآن .. كانت رشيقة ، جميلة ، وكانت برفقتها فى اغلب الصور امراة أخرى . وكانت البرامج تشير الى « الملائكة » وتوقف القديس لحظة عند احدى الصور التى لم تتقادم كثيرا مثل الاخرى وخيل اليه انه يعرف سحنة هذه المرأة رغم مرور الزمن وسأل :

ــ هل رايت صاحبة هذه الصورة ؟

ــ كلا .. فهى من عهد الكابتن استير : امى .

وانحنى سام بدوره على الصورة ، وحك قفاه دون ان يتكلم . وناول القديس الصورة الباهتة الى مارى التى اخذتها بشىء من النفور ، والقت عليها نظرة عابرة واعادتها ، دون ان تنطق بكلمة ، فابتسم لها القديس ، ثم أخذ يدها وقادها الى مرآة معلقة على الحائط وقال :

ــ انظرى ..

وانتفض ذراعها ، ولم يتخل عنه وقال :

ــ مارى .. انك تشبهين لزميلة مابل فى الرقص .

ــ هل جننت يا سيمون ، اننى لم ارقط هذه المرأة .. هذه المابل .

هذا دليل على ان قانون التشابه مازال ناقصا .

وكان الكابتن ريجفيلد يراقبهما دون تدخل ، ولكنه كان يواصل الشرب . وعندما تركاه جذب القديس الى

الخلف ، ولم يكن بحاجة الى الكلام ، فقد اشار المغامر الى سام بغمزة من عينه ، وفهم الوسيط دون جهد ، وعندما جلس سام الى عجله القيادة ، ارتسمت على وجهه ابتسامة المنتصر .

التفتت مارى الى رفيقها بنظرة حزينة وقالت :

— فلنرحل يا عزيزى سيمون ..

فقال عاتبا : لا اريد السفر الآن .

— ولكنك لا تفكر لا سيمون فيما يتهددنى من خطر ؟

واخذت تتحدث بلهجة جديدة :

— ألا ترى أن كل شىء يدور حولى واننى محاصرة فى شبكة من الأدلة المفزعة ؟ كما لو ان شخصا لا اعرفه يحاول جهده ادانتى ، وانا هنا ، لا استطيع حراكا . ولا تنس ان بول هنلى ، زوجى السابق قد قتل . وكنت اعرف رود ريجيز وسيبلى . وانا الذى أتيت بك الى شيكاغو . ولماذا ؟ لا ادرى . وكأنما كنت مساقة دون علم منى . ومنذ وصولى هنا وانت تواجه جريمة جديدة : مقتل فلوريا .. ثم قتلت نورما فى اليوم التالى فى نفس اللحظة التى كانت ستمدك فيها بمعلومات .. وكنت حاضرة فى نفس الثانية .. والآن ها انت تكتشف شبها بينى وبين زميلة تلك المرأة القبيحة : مابل وانا . ! .. فلنرحل يا سيمون ! فلننقذ انفسنا .. انقذنى .

فضمها اليه ، ولكنه اجاب بصوت واضح ، مؤكد :

— كلا يا مارى ، لن اسافر ، وبخاصة للأسباب التى ذكرتها الآن ، فكل هذه الأدلة التى تتراكم حولك ، تدعونى الى البقاء .

الفصل الخامس عشر

سأل القديس ، سام ، عند انفرادهما :

ـ ماذا عندك ؟

ـ انني اعرف اسم مابل الحقيقي . وكانت تدعى لونرجان .

ـ حسنا ، والاخرى ؟

ـ لونرجان ايضا

ـ أحسنت

وتنفس القديس الصعداء ، فقد اقفلت الدائرة هذه المرة . ولكن سام كان يعض على شفتيه ، فقال له :

ـ تكلم : ما الذى كشفت عنه ايضا يا سام ؟

فاخرج من جيبه صورة لامعه . تضم ثلاثة اشخاص وتأملها القديس برهة ، وارتسمت فى النهاية ابتسامة على شفتيه ، وشحب لون عينيه الازرق ، ولمعتا ببريق الصلب . وبتعبير خطر ، عبرت اساريره عن القسوة ، ثم نهض قائلا :

ـ انها لعبة محبوكة يا سام ، تعال معى : فانت تستحق ذلك :

وبعد لحظات . وكان قد تأكد بأن مارى قد نامت ، خرج تمبلار وسام من فندق كريتون ، وجلس المغامر محل السائق وقاد السيارة بنفسه .

واراد سام الاحتجاج فقال له :

ـ افضل أن اقود بنفسى .. فستكون هناك مباراة رياضية .

وبينما كانت السيارة تخترق شارعا كبيرا . خافت الاضاءة ، رأى القديس السيارة الشيفروليه قادمة بسرعة ، فزاد سيمون من سرعة سيارته فجأة حتى انها

قفزت وسبقته السيارة الاخرى . وقال سام :
ـ ياللخسارة . . لم يتسع لى الوقت لاطلاق النار .
قد تحين الفرصة لتعويض ذلك . قم بالمراقبة الآن واذا سمعت ضجة ، تدخل .
ـ ستكون قدمت فى تلك اللحظة .
ـ اطمئن . اننى لا اموت بهذه السهولة . راقب تلك النافذة .
وكانا امام قصر مسز جيلبرت الصغير . واشار تمبلار الى نافذة يبدو فيها الضوء خلف ستارة ، وقال :
ـ سأفتحها بطريقتى . . . وابق انت هنا للمراقبة .
واجتاز عتبة الباب ، وضغط على الجرس ، واضيئت الدرهة ، وسمع صوت المفتاح يدور فى القفل مرة ، واثنتين ، وثلاث وفتح الباب وظهرت مسز جيلبرت على عتبتـــه .
وقال القديس : واذا لم اكن أنا الطارق ليس هناك خطر فاننى أرى الطارق قبل أن افتح الباب . وأشارت الى عين سحرية فى خشب الباب .
واعادت مسز جيلبرت اغلاق الباب ، وتقدمت سيمون الى المكتب . وفى الغرفة ، التى يراقب سام نافذتها من الخارج ، تناولت مسز جيلبرت زجاجة من الشراب وقدمتها الى سيمون الذى انحنى شاكرا وقالت هى :
ـ هل جئت فى هذه الساعة المتأخرة لتتناول كأسا من البراندى ؟
ـ بل اردت ان اتحدث معك عن مابل . . التى كانوا يسمونها احيانا ، على سبيل المزاج : برج مابل .
ـ مابل ! لا اعرف احدا بهذا الاسم يا مستر تمبلار
فقبال بأسف واضح : ـ خسارة .
وكانت مسز جيلبرت قد اقتربت من مكتب نسائى

صغير من طراز لويس الرابع عشر . ولا شك انه مزيف فانتهز الفرصة الى النافذة وهو يقول :

ـ يا للحر الشديد .. !

وبدون ان يدع فرصة للاحتجاج امام مسز جيلبرت فتح النافذة قليلا ثم عاد الى مقعده وارتسمت ابتسامة على وجهها الذابل ذى الاصباغ الكثيرة . وداعبت عقدها بيدها المثقلة بالخواتم . وتعمد القديس الابطاء فى أقل حركة يأتيها حتى يستنفذ صبرها .. وقال :

ـ لعلك لا تعرفينى يا مسز جيلبرت العزيزة ان مابل فتحدت بارا فى حى سىء السمعة ؟ فأى انحطاط للونرجان

ـ ماذا قلت ؟

ـ لونرجان .. لقد وضح الامر .. اليس كذلك . تصورى اننى لبست قفازا لبض اللون ووضعت زهرة بيضاء فى عروة جاكتتى وذهبت لتفقد السجل المدنى ..

فقاطعته قائلة ، بحركة يائسة . محكمة التمثيل :

ـ حسنا .. لا داعى لكل هذه المحاولات يا مستر تمبلار . فانا أيضا من اسرة لونرجان وليست مابل الا شقيقتى .

ولم يبد سيمون اى انفعال . واستراح فى جلسته ، وهو يتطلع الى المرآة المواجهة له حيث انعكست صورة ستائر النافذة التى رفعتها الرياح بعض الشىء .

وقال ملاحظا : ـ وعلى ذلك فان رئيس خدمك ، فلوريا المسكين ، هو صهرك ، فتطلعت اليه ، ثم تاهت نظراتها فى الأفق ، كما لو كانت تروى بعض الاحداث المؤلمة التى لا دخل لها فيها ، ثم قالت توضح افكارها :

ـ لو اننى كنت على علم لما الحقته بخدمتى ـ وسأشرح لك الامر يا مستر تمبلار : عندما تزوجت بالسوورت جيلبرت . واصبحت من سيدات المجتمع ،

قررنا ، مابل وأنا ، اخفاء قرابتنا ، ولم نعد نتقابل أمام الآخرين . وكان ذلك ضروريا لراحتها .

ـــ ألم يكن من القسوة على نفسك هجر المسرح ؟

ـــ هل انت على علم ؟

فرفع يده قائلا : ـــ لقد زرت الكابتن كارولد لوسيوس ريد جفيلد .

وساد الصمت الغرفة التى ظلت حارة الجو بالرغم من تيار الهواء . واخيرا تنهدت مسز جيلبرت وارتفع صدرها الضخم وقالت :

ـــ لقد اكتشف فلوريا سرى وانت على علم بكل شىء الان .

وتبدلت اساريرها فجأة وقالت :

ـــ ان ما اريده يا مستر تمبلار هو فستانى المطرز بالذهب ، فانا لا اهتم بشجرة اقاربى .

وهكذا عاد الحديث عن هذا الفستان الشهير الذى كان السبب فى التحقيق الجديد الذى يقوم به القديس ، هذا الفستان الذى اشترى منذ بعض الوقت من محل روزييه فى باريس . هذا الفستان الذى اضطره الى البحث فى مراجع مسز برنادرت .. وقال :

ـــ انه نموذج رائع حقا يا مسز جيلبرت .. يجمع بين الاناقة والراحة .. وما من سيدة لا تتمنى ان تظهر به فى حفلة راقصة ..

وتنمرت فى جلستها كالقطة المتحفزة للوثب على الصائد الذى يعاكسها ، ويسخر منها

واستطرد القديس : ـــ اظنك سافرت الى لاهاى ، ومررتى ببروكسل ، وامستردام ...

فقالت بخشونة : ـــ وبعد ؟

ـ وبعد ؟ الا توجد السوق العالمية للجواهر فى تلك المدن ؟

ـ ثم ماذا بعد ؟

ـ ان رجال الجمرك لا يجسرون على تفتيش مثل هذا الفستان المصنوع فى باريس وكانت لهجة القديس الساخرة لا تتفق مع الاتهام الذى يضع صيغته وتابع حـــديثه :

ـ ان رجال الجمارك هؤلاء يفكرون فى مخابىء كثيرة . ولكن هذا المخبأ الذى خاطته يد بارعة فى بطانة ذلك الفستان لا يخطر على بال احد . وكان يخفى ثروة صغيرة . ولعلنى لا اغالى اذا قلت انه كان هناك حجران كريمان اخفيا خارج الثوب بشكل زراير .

ـ تماما يا مستر تمبلار . ولا شك انك رجل خطير .

ـ ولكن اخاك مندوزا اشـــد خطـــورة يا عزيزتى مسز جيلبرت .

وقطبت حاجبها ، فهداها باشارة منه قائلا :

ـ يا للعجب . ! الم يستدعى لنجدتك ؟ ماذا كان يحدث لو اننى لم احضر الى شيكاغو ؟

ـ نعم .. ولكنك حضرت .. ولحسن الحظ اننى املك هذا .

وتناولت مسز جيلبرت مسدسها من درج مكتبها وشهرته ،

وظل القديس ثابتا ، مستلقيا فى مقعده ، وقال لها وهو يتأملها .

ـ ابهذا المدفع الرشاش قتلت نورما المسكينة ؟

ـ نورما ؟

ـ الفتاة الشقراء ذات العيون الزرقاء .

ـ آه . الجاسوسة التى اختارها الجمرك للكشف

عن العملية .. هل رايت الى اين ساقها ذلك .. والى أين يسوقك ذلك ايضا ياعزيزتى تمبلار

وكان يراقبها كما يراقب القط الفأر ، ولم تكترث مسز جيلبرت فقد لاح لها النصر كاملا .. وقالت :

ــ لقد قهرت يا مستر تمبلار .. قهرت بشكل لم يحدث لك من قبل .. أنت القديس الذى لا يقهر .

فقال ساخرا وهو يراقب فى المرآة المواجهة له ، ثنيات ستارة النافذة :

ــ اشعر بأننى سأمسح ارضية هذه الغرفة بدمائى بعد ثوان .

ــ لقد اراد فلوريا ، هذا النصاب الحقير ، أن يساومنى عندما علم من مابل البلهاء بأننى كونت لى مركزا ، واستطاع أن يدخل الى هنا ، مستترا خلف وظيفة رئيس الخدم .

ــ الم يكن طعنه بالخنجر لانه كان رديئا فى عمله ، ثمنا غاليا .

ورأى ــ فى المرآة ــ الستائر تتحرك ، واحتفظ بابتسامته مما أقلق مسز جيلبرت وهى تراقبه ، وتتساءل : أى فخ جديد يعده لها هذا الرجل .

ــ انك تعرف الكثير يا مستر تمبلار .

ــ حذار يا مسز جيلبرت ، فان جثة واحدة كافية لارسال الانسان الى غرفة الاعدام .. فما بالك بثلاث .

وتشنجت يد المرأة على المسدس ، وفغر فمها ، ورفعت يديها اليسرى ، بعصبية خصلة الشعر التى تدلت على جبينها ، وتخلت عن مظهرها النسائى وقالت :

ــ الوداع يا مستر تمبلار .

وارتفع المسدس ، ورأى القديس ابهامها يلتف حول الزناد .. ودوت ثلاث طلقات نارية فى الغرفة .

واتسعت حدقتا مسز جيلبرت وعبرت أساريرها عن الدهشة . وانفرجت أصابعها ، وتركت المسدس يسقط على الارض محدثا صوتا مكتوما ، وانحنى وسطها الى الامام وانهارت فجأة .. وقال القديس ببطء :

ــ الوداع يا مسز جيلبرت وقام متجها الى النافذة وقال :

ــ ادخل يا جاسى .

وانفرجت الستائر . وظهر جاس بيكر ، وكان يحمل ذراعه الايمن ملفوفا الى رقبته ، فى حين كان يحمل مسدسا أتوماتيكيا ثقيلا بيده اليسرى .

وتناول سيمون علبة سجائره ، وقدمها للشقى الذى ضحك .

وقال : هل لك ان تقول لى سر تدخلك ؟

ــ أردت أن أقابلك فأرسلت لك احد رجالى ، ولكنك هشمت فكه .. فحضرت بنفسي .

فقال القديس بانحناءة صغيرة : ــ شكرا .

واقترب من مسز جيلبرت ورفع راسها ، وقال :

ــ انك تحسن الرماية أحيانا ، يا جاس .

ــ الى حد الارهاب .

ــ بل أكثر .

وارتعد الشقى ، وخطا خطوة الى الامام ، وبدا عليه الرعب . وقال له سيمون :

ــ هل تعيرنى مسدسك ؟

وتردد الرجل قليلا ثم ناوله المسدس ، ففحص القديس خزانته ثم قال :

ــ خذ مسدسك ، واجبنى بصراحة : كم رصاصة اطلقت على هذه الفقيدة العزيزة ؟

ــ أطلقت رصاصتين .

ــ تماما .. ولكن سمعت دوى ثلاث رصاصات .
ــ هل أطلقت هي ايضا رصاصة ؟
ــ كلا .. لقد حاولت أنت اخافة مسز جيلبرت ، وقتلها شخص آخر .

وبللت جبين الشقي قطرات كبيرة من العرق ، فمسحها وتناول زجاجة من الويسكى كانت موضوعة على صينية ووضع عنقها على فمه ، وراح يشرب ، عندما أعادها الى مكانها نصحه القديس ..

ــ امسح بصماتك ، فذلك ادعى الى الحذر .
ــ يا الهى . قل لى يا قديس ..
ــ حدثنى أنت عن دورك فى هذه العملية ، فاذا كنت صريحا معى ، فقد اتغاضى عن تهمة الشروع فى القتل هذه .

وتردد بيكر ، وتأمل القديس ، وعض شفتيه ، ثم اخذ يعترف :

ــ لقد أعددنا عملية ، انا ورجالى باشتراك فلوريا، للحصول على الفستان المطرز بالذهب ولكن الامر افلت من أيدينا ، ولم نرتكب جرائم القتل التى اقترنت بعملية سرقة الفستان . أفهمت يا قديس ؟
ــ حسبنا جدا .
ــ لذلك حرصت على اطلاعك على الحقيقة ، وسعيت لمقابلتك ، حتى تشهد لمصلحتنا اذا وقع رجالى فى مأزق .. هل فهمت ؟
ــ نعم .. هل أنت الذى استوليت على الفستان ؟
ــ نعم ، ولكن الجواهر كانت قد انتزعت منه .. ولكن : من الذى قتل مسز جيلبرت ؟
ــ لا شك أنه الشخص الذى انتزع الجواهر من الفستان .. رجلا كان أو امرأة .

واقترب من النافذة ، وزاح الستائر ، وفتحها ، وتطلع الى الخارج فلم يرى سام .

ــ ماذا فعلت بتابعى يا جاس ؟

ــ اى تابع ؟

وخرج سيمون مسرعا دون ان يجيب ، وتبعه جاس . فراى سام على مقربة ، وهو فاقد الوعى ، وعندما عاد الى صوابه عجز عن شرح ما حدث .. وكل ما يعيه انه كان يقوم بداوريته ، وراى النافذة تفتح ، ولمح القديس وهو يفتحها ، وسمع بضع كلمات من الحديث بين الاخير وبين مسيز جيلبرت ... وبعد ذلك ... لا شيء ... هوة سوداء .

وقال جاس بتأكيد : ــ اقسم لك يا قديس انه لا دخل لى فى ذلك . وعندما وصلت على مقربة من النافذة ، لم يكن هناك احد .

فهداه تمبلار قائلا : ــ اننى اصدقك .. اذهب الآن .. ولكن بقى سؤال : هل تعرف دول ؟ الا تذكر هذا الاسم ؟ اننى اشتبه فى أنه اخصائى فى المجوهرات المزيفة .

ــ اطمئن يا قديس . فان جاس لم يهتم قط بالاشياء المزيفة . لا بالنقود المزيفة ، ولا بالاحجار المزيفة ، ولا بالملابس الزائفة التطريز ، سواء أكانت مستوردة من باريس أو من ناجازاكى . الى اللقاء .

ــ الى اللقاء .

بأى ثمن .

ــ حسنا .. كيف تريد ان آتى به اليك ؟ ميتا او حيا ؟

ـــ افضل أن يكون حيــا .

وركبا السيارة ، وسأل الراكب :

ـــ الى أين نذهب ؟

ـــ الى فندق كريتون . يجب اخطار مندوزا بهــذا الخبر المؤلم : لقد قتلت اخته .. ما رأيك يا سام : أتظن أنه سيحزن كثيرا ؟

الفصل السادس عشر

ـــ من الطارق ؟

كان ذلك هو صوت مندوزا عندما دق سيمون باب غرفته وسط الليل .

واجاب المغامر : ـــ تمبلار .

وأدار الرجل القزم المفتاح في قفل الباب بحذر ووقف خلفه مبتسما وقال :

ـــ اسرع بالدخول .

واعاد غلق الباب بالمفتاح بعد دخول تمبلار ـــ وقال الاخـــير :

ـــ ما كل هذه الاحتياطات ؟ اتخشى فخا ؟ لقد خزنت مؤونة وعتادا ؟

فهز القزم منكبيه الضئلين وأجاب :

ـــ انك دائم الســخرية يا قديس ـــ وهــذا خطأ ـــ فسيحدث لك مكروه يوما .

ـــ كما حدث لمسز جيلبرت ؟

وسرت رعدة شديدة الى جسم مندوزا كما كان قد مشى على ثعبان ـــ وأدار قبضتيه الصغيرتين المطبقتين ـــ وسأل محدثه الذى كان يرى فيه شبح الجلاد .

ـــ وماذا صنعت أيضا يا قديس ؟
ـــ لقد قتلت أختك منذ قليل يا مندوزا .
ـــ على يدك .

وأراد أن يبدى التهديد ولكن ثورته هدات وتهالك على مقعد وأخذ ينتحب بيأس وقال :

ـــ لماذا فعلت هذا يا قديس ؟ لقد كانت عاجزة عن سحق حشرة واحدة .

ـــ هذا جائز ـــ ولكنها لم تكن تهاب الذكور ـــ فلم تتردد فى غرس خنجر فى ظهر ارثر فلوريا ـــ ولـــكن من ســـوء حظها أن فلوريا كان يرتدى فى هذه اللحظة الصديرية الصفراء وقد حاولت حملى على الاعتقاد بأن فلوريا قد قتل فى غيابها بيد سارق فســـاتنها ولكننى ادركت الحقيقة فى الحال .

وكان القزم قد رفع رأسه وراح يتأمل تمبلاربرغب .
وتواصل انسياب الدموع على خديه .
وأكمل سيمون حديثه :

ـــ وهناك نورما أيضا .. الفتاة الجميلة التى كان بوسعنا أن نجعل منها نجمة فى هوليوود اذا ما أهتم بها صديقى الكابتن هارولد لوسيوس ريد جفيلد .
ـــ هل أنت صديق لريد جفيلد ؟
ـــ نعم يا مندوزا ـــ ويبدو ان ذلك لا يروق لك ـــ وهو الذى ألقى الضوء على علاقات مايل ومسز جيلبرت .
ونفخ نفسا طويلا من سيجارته وقال :
ـــ ... شقيقتاك يا مندوزا .

وتحركت ذراعا القزم بتوسل ، ونداء الى الشفقة والعقل ـــ ولكن سيمون لم يهتز بل ظل يحـــدق فيه منتظرا ايضاحا للامور . وقال مندوزا :

— الحق معك — وكنت أريد أن أوضح لك الامر منذ وقت طويل ولكننى لم أجسر وكان يلوح لى أنه ما من شىء تأخذه على ..

— لا شىء فى الواقع سوى أن فلوريا كان صهرا لك انت أيضـــا .

ووقف القديس ومدد عضـــلاته طويلا — ثم التفت خلفه لحظة خروجه وقال :

— الواقع يا مندوزا اننى أتساءل ما فائدتى لك فى شيكاغو .. فاننى لم أتمكن حتى من العثور عـــلى الفســـتان المطرز بالذهب — الذى كان عزيزا عـــلى المرحومة مسز جيلبرت . ولا شك اننى عجزت والافضل أن أتمتع بأجازة . وأنا أتردد بين ميامى وكاليفورنيا .. فما هو رأيك يا مندوزا ؟

— لا رأى لى .

وعندما أدار قفل الباب ، وهم باجتياز عتبته ، ناداه خال مارى : — يا قديس ..

وتوقف سيمون وانتظر مبتسما ولكن القزم هـــز رأسه قائلا : — لا شىء ... لا شىء .

وتنفس تمبلار الصعداء عندما أصبح فى غرفته وتأمل خياله فى مرآة الدولاب وهز منكبيه ودار على عقبيه ، ودخل الحمام ولكنه ما لبث أن وقف مشدوها : فقد رأى بين ملابسه ثوبا نسائيا معلقا . وأمسك به فاذا هو الفستان الشهير ، المطرز بالذهب .

دسه بين ثيابه ، فى غرفته الخاصة ، استخفافا به وازدراء :

ومن أجل هذا الفستان قتل ثلاثة أشخاص ... وهو الفستان الذى كان يستعمل لتهريب المجوهرات تحت بصر رجال الجمارك .

وهز الفستان بغضب وسمع كرمشة ورقة ، كانت مثبتة برقبة الفستان بدبوس ، وكان من العبث قراءة التوقيع . فهو يعرف مقدما أنه للارملة السوداء .

وقرأ الرسالة التى كانت تقول :

« أعيد لك الفستان واحتفظ بمحتوياته وأظنك تفهم ما هى المحتويات . أى حظ سىء جعلك تقود السيارة بنفسك هذا المساء ... حقا انك تجيد التفكير » .

وبرقت عينا سيمون بالغضب : فان الارملة السوداء تغالى حقا ، فهى تسخر منه ، وتهزأ به علانية كأنما تصر على قهره فى عقر داره .

وفى الصباح الباكر ، وكان القديس ما زال نائما عندما أخطر بأن زائرا ينتظره وزجر موظف الاستقبال ولكن الاخير اعترض قائلا :

ـــ ان الزائر يلح كثيرا يا مستر تمبلار ، ويقول إنها مسألة حياة أو موت .

فقال سيمون : ـــ حقا ؟ اننى أراهن على أنه يدعى « أوسكار دول » ..

وكان الزائر اللحوح هو « دول » فعلا : وبعد لحظات كان يدخل الى الغرفة بينما كان القديس يحكم رباط الروب دى شامبر . وبدأ الزائر حديثه :

ـــ اننى آسف .. ولابد انك تلعننى ...

ـــ أكثر مما تتصور .. فلا شك انك تجهل الضرر الذى الحقته بى الان . فقد أيقظتنى فى نفس اللحظة التى كانت الاميرة شهر زاد تدعونى لزيارتها فى خلوتها .

ـــ يجب أن تغفر لى يا مستر تمبلار ، فأنت وحدك الذى يستطيع انقاذى .

ـــ هذا يدهشنى ... انظر ...

وأشار الى الحقائب المفتوحة الموضوعة على المناضد واضاف :

ــ اننى راحل وأنا انفض غبار حذائى على شيكاغو .

ــ صدقنى اننى ترددت كثيرا وناقشت المسألة طويلا بينى وبين نفسى .

ــ هذه لعبة غير اجتماعية .

ــ عفوا يا مستر تمبلار فليس مزاجى معتدلا لتذوق المزاح .

وأخرج دفتر الشيكات من جيبه فجأة وقال :

ــ اننى على استعداد لان أدفع لك اتعابك ، فأنا تاجر جواهر و ....

وأخرج من حافظته بطاقة وقدمها للقديس الذى ألقى عليها نظرة وكان مكتوبا عليها :

« أوسكار . ت . دول مدير فرع محلات بريمر ، فى سان فرانسيسكو » .

وقال مزهوا : ــ هل رأيت ؟

وكان سيمون قد سلط الموس الكهربائى على ذقنه وقال :

ــ ان محلات بريمر معروفة فى العالم كله . وباستطاعتى ان أعترف لك يا مستر دول بأن تلقيت توصيات عليه من كل الفتيات الجميلات اللاتى ارتبطن بى خلال السنوات العشرة الاخيرة .

وأتى الجواهرجى باشارة من يده كأنه يزيل اللهجة الضاحكة ، للدخول بمباشرة فى الموضوع الذى يزعجه وقال :

ــ اذا لم تساعدنى يا مستر تمبلار وتنقذنى فسأقتل .

فقال القديس دون أن يظهر الانفعال :

ــ آه : هل راجعت وصيتك ؟

— أتوصل اليك ... هل تعرف ليورورجيس ؟
وبرقت عينا المغامر الزرقاوان : فقد استطاع أول أن يثير اهتمامه هذه المرة وبقى رافعا ذراعه فى الهواء ممسكا بالموسى الكهربائى التى كان صوت دورانها مسموعا وقال :

— بورج ... اتعنى المخبر السرى لاحدى شركات التأمين ؟ لقد كان اختصاصه البحث عن الجواهر المسروقة .

— ما هى معلوماتك عنه يا مستر تمبلار ؟
وتمعن القديس فى الرجل : فأى رجل عجيب تسوقه اليه المغامرة ؟ هل له صلة أيضا بالارملة السوداء ؟
وأجاب : — بورجيس مخبر محب لعمله .. وقد جعلته رغبته فى خدمة الذين يثقون فيه بتعدى قليلا اختصاصاته كمخبر سرى .
— اى أنك مطلع على أحواله .
— نعم .. وقد بلغ به الأمر عندما هدأ سير الجريمة أن دبر حادث سرقة كبيرة ثم اكتشف — بدون جهد — المجوهرات التى أوعز باخفائها بنفسه .. وكانت تلك فرصة ذهبية للمطالبة بأتعاب كبيرة . ولكن ..
وكان القديس يتابع انفعالات الجواهرجى .

— ... على اثر هذه العملية الاستغلالية الكبيرة اعتزل فى تلك الصومعة ذات الطابع الخاص التى يسمونها « سان كوينتان » تشبها بالسجن المعروف بهذا الاسم . وهى سجن جميل حقا :

وتناول « دول » زجاجة الويسكى الموضوعة على منضدة قريبة منه وملأ لنفسه كأسا ، شربه جرعة واحدة ومسح فمه بمنديله وقال :

ـــ لكن الجديد يا مستر تمبلار أن بورجيس غادر صومعته . . . ولم ينقطع منذ تحرره عن اقلاقى وتهديد الرجل الذى كان شاهده فى القضية :

ـــ أنت ؟

وتنهد دول وتكوم فى مقعده كمن يذوب بتأثير خطر كبير ، وقال :

ـــ نعم ، أنا . . . اننى أشعر به يتعقبنى . حيث ذهبت . . . هو هنا الان . .

والقى نظرة مرتعبة حوله وفحص الاثاث والابواب رغم أنها مغلقة . وقام الى باب الحمام وتأكد من ان ليس به احد ثم عاد الى سيمون وقال : انظر :

وبحركة المشعوذين اخرج من جيبه علبة الجواهر وضغط على زرها فظهر عقد براق من الجواهر لم ير سيمون مثيلا له من قبل وصفر برفق وقال :

ـــ كأنه بيض الحمام . .

ـــ انه رائع . . .

وجفل الاثنان فجأة وبخاصة دول الذى اقفل العلبة وضمها اليه والتفتا ، فقد كانت مارى داخل الغرفة تشرق بطرفها وابتسامتها وكانت قد انتعلت حذاء خفيفا ودخلت الى الغرفة بخفة ولم ينتبه تمبلار ، ودول لحضورها .

وقال القديس : ـــ جميل منك أن تختصينى بهذه المفاجأة . . .

ـــ لقد حضرت يا عزيزى سيمون لـ . . .

فقاطعها بعذوبة قائلا :

ـــ اقدم لك مستر دول . . اوسكار دول . . ولا شك انك تذكرين وجهه ، فهو الذى ارتمى على عند هبوطنا من المطار .

ولجلجت الفتاة : — وهذه الجواهر .. اريد رؤيتها .
فقال القديس يشجع دول :
— كن رحيما يا دول بابنة حواء . ارها جواهرك .. ولا تخف شيئا فانا بجانبك .. وتطلع فيهما الجواهرجى وهم بالرفض ولكنه هز منكبيه وفتح العلبة وتمتمت مارى وهى مبهورة :
— عجيب حقا .. فمن المستحيل ان تكون الجواهر بهذا الحجم .. بتاتا ..
فقال دول معترضا : — انها جواهر حقيقية وقد قدر ثمن العقد بأكثر من مائتى الف دولار . وليس فى العالم كله مجموعة مشابهة .
وقال القديس : انك تحسن تغذية المحــار . أى مهراجا اعتدى عليه للحصول على هذه الجواهر .
فهز الجوهرى راسه وهو يراقب مارى وهى تلمس صف العقد بأصبعها ببطء وقال :
— ليس لهذه الجواهر خلفيات يا مستر تمبلار ... ولم تمر عليها دماء ...
واضاف وهو يرتعد : حتى الان على الاقل .
ولم يفعل القديس شيئا ليطمئنه ولكنه قال :
— اخشى الا تنطق هذه الجواهر بتاريخها يا مستر دول .. ابتــداء من كلكتا الى فريسكو مرورا بعدن وبرلين ربونيوس ايرس . لا أعرف قاتلا يتورع عن سلبك الحياة للاستيلاء على هذه القطعة الفنية الرائعة .
— للاسف : ولهذا لجأت اليك .
وتحول سيمون الى خزانة صغيرة وتناول من فوقها علبة سجائر وفتحها وقدم لكل منهما سيجارة وقال :
— ماذ فعلت يا دول للتأمين عليها ؟

ـ لقد حصلت على بوليصة تأمين يا مستر تمبلار . ولكن ما قيمتها ..

واقفل الجوهرى العلبة ووضعها فى جيبه الداخلى ، ولكنه لم ينقطع عن مراقبة مارى كما لو ان الفتاة كانت قادرة على سلب الجواهر دون ان يتنبه ... وقال :

ـ ارايت كيف تسللت الانسة الى غرفتك بسهولة .. فلو كان بورجيس ..

ـ بورجيس ؟

وكررت مارى هذا الاسم بلهجة غريبة .

فقال سيمون موضحا :

ـ احسن صديق لهذه الجواهر وتبعا لاقوال صديقنا دول فان بورجيس يتجول فى الجوار حاملا سكينا بين اسنانه ... واعتقد ان صيادى الجواهر يحملون دائما خنجرا بين اسنانهم ؟

وابدى دول اشارة نفور فهو لا يستطيع ان يطيق المزاح فى نفس الوقت الذى يقع فيه تحت التهديد وانه يتخيل قاتله قريبا منه على استعداد لقتله لكى يستولى على الجواهر .. وعاد يقول بالحاح :

ـ انك وحدك يا قديس الذى يستطيع اخراجى من هذا المأزق .

ـ ابلغ الشرطة .

ـ لن يفعلوا شيئا ، اذ لابد أن بورجيس قد دبر الامر معهم فبعد أن يسلبنى العقد ويقضى على حياتى سيختفى وسيذهب الاخر الى شركة التأمين للبحث عن العقد ثم يجده ويقبض الجائزة ...

ـ الا اذا تراءى له الاحتفاظ به ـ فهو مغر ...

ـ ولذلك يجب أن تهتم بالادر يا قديس ... أتوسل اليك أن تفعل شيئا .

وهز سيمون منكبيه وتطلع الى مارى يسالها رأيها ببصره وكانت المرأة الشابة جالسة تدخن فى صمت غاطسة فى مقعد كبير تائهة النظرات فى السقف وكأنها غائبه بعيدا عن النقاش ... وكانت رائعة فى هذا الوضع المنعزل : وكتم القديس تنهداته وهو يفكر فى باتريشيا .. حبيبته بات البعيدة عنه ، وكم كانت سعادته فى هذه اللحظة لو أن التليفون دق وحمل له صوت بات العذب يوجه اليه النصيحة التى تنقصه ..

ودق جرس التليفون وتطلع الثلاثة الى بعضهم والح جرس التليفون وقام سيمون وتناول السماعة .. وقال المتحدث :

ـ هالو .. أهكذا تشغل نفسك دائما بمشاكل الآخرين ...

وكانت المتحدثة هى الارملة السوداء .. مرة أخرى.

واستمر الصوت يقول :

ـ لا أدرى يا قديس كيف تركتك حتى الان .. لقد أخطأت .. وإذا تابعت اهتمامك هذه فاننى أحكم عليك بالموت ..

وقفل الخط ووضع تمبلار السماعة فى مكانها والتفت الى دول قائلا :

ـ ماذا كنت تقول اذن ؟

وتأمله الاخر ، ورفع يده المتشنجة الى حنجرته ثم عاد يطلب مساعدة المغامر بعبارات مؤثرة ولكنه توقف أمام برود تمبلر ، فنهض قائلا :

ـ انك ترفض اذن ؟

ـ قلت لك من قبل اننى اعتزم السفر .

وجلس سيمون على مسند المقعد الذى جلست عليه

ماري . وامسك بيدها الطويلة وشد عليها فاسندت راسها الى وسطه وقال دول بلهجة الاعتذار : فهمت .

وقال القديس كأنه يفكر بصوت عال :

ــ ان كاليفورنيا جميلة فى هذا الفصل .. اليس كذلك يا دول ؟

فنظر اليه الجوهرى طويلا وبعمق ثم أدار ظهره قائلا :

ــ رحلة سعيدة يا قديس ... واذا قرأت اسمى فى الصحف فسيكون مجللا بالسواد ...

وانا على ثقة من ان ضميرك سيؤنبك .

فقال سيمون باستخفاف مقصود .

ــ سأرسل باقة من الزهور .

ونهض ورافق الرجل حتى الباب ثم أغلقه خلفه وعاد يقول :

ــ متى نسافر يا ماري ؟

وانحني عليها ولف منكبيها بذراعه وضمها اليه وتمتمت :

ــ وهل نترك خالي وحده ؟

ــ آه يا ماري : بالرغم من صغر حجمه فان باستطاعته التصرف وحده وليس بحاجة الى مرضعة وسيرحل عن شيكاغو ويعود الى نيويورك ويستأنف حياة المسالمة بعيدا عن أى اضطراب وتذكرى انك لم تكونى ترينه الا قليلا رغم كل تلك الاحداث بل أن علاقاتكما كانت فاترة .

فقالت وهى تتنهد : ــ حسنا .. سأهجر مندوزا .

واتجهت الى الباب المتصل بغرفتها فاستوقفها ليوجه اليها سؤالا :

ــ هل من اجل ذلك كانت زيارتك اللطيفة يا مارى ؟
ــ وربما .. ولاطلب منك أن تضحى بسام ، اذا كنت سأضحى انا بمنوزا ، فان نحمله مع أمتعتنا ...
ــ أقسم لك : فلن تريه فى السلة فوق رؤوسنا .

الفصل السابع عشر

عندما غادر فندق كريتون ، أشار القديس الى سيارة تاكسى وقال بلهجة المنتصر :
ــ ها أنت ترين يا مارى انه لا وجود لسام .
ــ شكرا يا حبيبى .
وانطلقت بهما السيارة ، وقال سيمون للمرأة الشابة بصوت خافت :
ــ لقد أحسنتت بابدال السائق القديم ، فان السائق الجديد هذا يمتاز بمهارة فى تجنب المطبات التى تفقدنى صوابى ..
ــ انك تتصنع الجنون يا سيمون .
ــ ألا تريدين مشاركتى عزلتى ؟
ــ ولكننا لا يعرف أحدنا الآخر معرفة حقة .
وابطأت السيارة أمام المحطة التى ازدحمت بجمهور كبير وابدت مارى دهشتها وقالت :
ــ انسافر بالقطار يا سيمون ؟
ــ انه أكثر شاعرية .. فليس فى الطائرة خصوصية حيث يشترك ٤٨ شخصا فى كابينة واحدة اما فى القطار فبالاستطاعة حجز عربة كاملة .
ــ انها رحلة حب يا عزيزى .

وانحنت عليه وقدمت له فمها ، فاستجاب للنداء وأكمل عبارتها :

ـ على الا يعكر سفر شهر العسل بمفاجآت ليست على البال وأما أكثرها ..

وقطع عبارته وانحنى على باب السيارة بتلهف متفرسا فى المارة وسألته مارى بفضول :

ـ ماذا رايت ؟

ـ ظننت اننى رايت « دول » .

فقالت بابتسامة نسائية مغرية :

ـ الرجل صاحب بيض الحمام ؟ ربما كان يقوم هو ايضا برحلة عرس ؟

ولم يجب تمبلار بل قطب حاجبيه وبدا عليه التفكير العميق : هل تسير المغامرة وفقا للايقاع الذى قرره هو ؟ هل يتم تزييت عجلات الآلة بانتظام وتناسق ؟ وهل يهب عليها غبار او اى شيء يقلب الأمور ، ويسبب كارثة جديدة ؟ ... ولقد تكررت ألكوارث منذ الامسية التى انتزعته المكالمة التليفونية من هدوء شقته فى نيويورك .. حقا ان خطته كانت مشوبة بالمخاطر ولكنه كان بحاجة الى ادلة .. وقد القى زهر اللعب .. وتلاقى ذهنه صلاة حارة للملاكه الحارس .

ورفع حمال اسود حقائبهما ووضعهما على عربة واتجه بها الى الصالون الذى حجزه سيمون من قبل فى القطار حيث جلسا ، وابدت مارى فرحها الشديد واخذت تذهب وتجيء وتلقى نظرات على الممر وتتطلع من زجاج النافذة الى المسافرين وقوفا على الرصيف الآخر ..

وقال لها سيمون : — لا شك أن الشخص الذى تنتظرينه لن يحضر يا عزيزتى .

فالتفتت اليه وقد شحب لونها الزاهى قليلا وقالت مبتسمة :

— انك غبى يا سيمون .

وجلست بجانبه وسألته : — هل انت غيور ؟

— مثل النمر .

فهزت كتفيها وتناولت سيجارة من حقيبة يدها وأشعلتها واخذت تدخن بأنفاس قصيرة سريعة ملتزمة الصمت وقال هو فجأة :

— أتعرفينى يا مارى اننى قارىء ماهر للافكار ؟ وقد اقترح على البعض من قبل ن اجرى عرضا على المسارح العامة . فما رايك ؟

— فى ذلك العرض أو فى موهبتك ؟

— فى الاثنين .

— حسنا : اننى اتطلع لمعرفةما أفكر فيه أنا الان .

— هذا أمر سهل انك تفكرين فى عقد ثمين من الجواهر ، فأحمر وجهها ونظرت اليه بتعبير قاس بينما واصل هو الحديث محتفظا بابتسامته :

— انك تحلمين بالجواهر حول عنقك الابيض وان تدفعى ثمنا غاليا لها ، وان أدبر أنا الامر للحصول عليها بثمن معقول .. نظرا لما يذاع عنى من أن القديس كان يوفق دائما للحصول على ما يريد ، فلماذا لا اتمكن اليوم من اقدم لك هذه الهدية ؟

فلجلجت : — آه يا سيمون .

وتمالكت نفسها ورفعت كتفيها ، واستعادت هدوءها وقالت له وهى تعبس بشكل فكاهى :

ــ الم أقل دائما انك مجنون ؟

ودوت صفارة القطار طويلا وتحــرك برفق فوق القضبان وبدأت الرحلة .

وانتهى النهار وساد الشروق المروج الشاسعة التى كان القطار السريع يخترقها ولم يتكلم سيمون ولا مارى عن جواهر أوسكار دول . كان هناك اتفاقا صامتا . ونامت مارى ، وتظاهر القديس بالنوم ، والواقع أنه كان يتوقع قدرا جديدا . فنشط ذهنه وتوترت أعصابه استعدادا للحركة .. وراح ينتظر . وفتح الباب بعنف دون أن يدق أحد عليه من الخارج ، ودخل رجل طويل القامة قوى العضل ربع العنق ونادى تمبلار فى حين أفاقت مارى :

وقالت بصوت خافت : هل انت القديس ؟

ــ نعــم .

ــ اننى بحاجة اليك .

ــ هكذا شاء القدر بألا أتمكن قط من القيام برحلة هادئة سواء أكانت بالقطار أم بالطائرة أو بالغواصة .. لابد من قدوم أحد ليقول لى : « اننى بحاجة اليك » .

وجلس الرجل وهو يلهث ، وألقى نظرة على مارى الجامدة الحركة ، ثم أعاد بصره الى سيمون وقال :

ــ الامر يتعلق بالجواهر .

فقال سيمون بدون انفعال :

ــ نعم ... جواهر كبيرة جدا ، بحجم بيض الحمام وتقدر بمائتى ألف دولار .. على الاقل .

فزمجر الرجل المجهول قائلا : أهى فى حوزتك ؟

ــ كــلا .

ــ واين هى اذن ؟

— عادة ما تكون فى علبة يضعها فى جيبه الداخلى رجل احتفظ باسمه ...

— ومن يكون ذلك الرجل ؟

— ومن أنت ؟

واخرج الزائر بطاقة من جيبه الداخلى وقدمها له . وقرأ القديس : « ب . ج ميلر — جوهرى » .

وقال : — شىء مثير .

— لا شك أنك تعلم الكثير . واوكد لك أن هـذه الجواهر هى ملكى ، وقد سرقت منى .

— ستدفع لك شركة التأمين ...

— ليس هذا مؤكدا .. ففى المرة السابقة حدثت كارثة وفى هذه المرة ... هذه المرة ..

— السجن .

وهز الجوهرى منكبيه الثقيلتين وقال بتذكر :

— انك لا تفهم .. لا تريد أن تفهم .

— بل فهمت .. واستطيع أن أقول لك ما حدث فى المرة السابقة . فقد وجدت الجـواهر وكافأت شركة التأمين بسخاء المخبر السرى الذى توصل بالتهديد ..

وتطلع اليه ميلر كمن يرى فيه شيطانا بينمـا رسم تمبلار على وجهه ابتسامة ملائكية واقتربت مارى .

واضاف سـيمون : — الا يدعى هذا المخبر السرى ليوربورجيس ؟

— نعم .. هل رأيته ؟

فلم يجب القديس بل وجه نظره الى النافذة يتـابع مناظر المروج الرتيبةودخن نفسا أو نفسين قبل ان يقول :

— هل أنت واثق من أن جواهرك كانت حقيقية ؟

— هل فقدت العقل ؟

ـــ كلا .. ولكن الرجل الذى رآها الى رغم انها ماسة أيضا . ولذلك خطر لى أن هناك نسخة أخرى منها .. والحق يا مستر ميلر اننى وقعت منذ بعض الوقت على سلسلة من التزييف .. وغمز بعينه الى مارى فابتسمت له بظرف واهتز ميلر كما لو كان يطرد ذبابة مزعجة ، وقال :

ـــ ليس هناك تزييف ، فالجواهر مؤمن عليها بمبلغ طائل . فاذا علمت الشركة انها اختفت مرة أخرى ..

فقاطعه : ولقد اختفت فعلا ...

ـــ نعـــم .

ـــ متى .

ـــ فى هـــذا القطار .

ولم يرفع القديس بصره عنه وكذلك مارى وشرح الرجل الضخم مغامرته . فقد كان فى طريقه الى الغرب ليبيع العقد الذى كان يحمله معه فى أحد جيوبه الداخلية وعندما كان يهم بالجلوس فى مقعده فى القطار السريع . حدث زحام وتدافع ، وانطلق القطار ودفعه أحد مفتشى القطار بعنف الى الامر واكتشف بعد ذلك ضياع العقد .

ـــ اتعنى سرقته ؟

ـــ على وجه التحقيق .

وهل تشتبه فى المفتش .

ـــ كلا ولكننى اشتبه فى ليوبورجيس ، فلابد أن هذا الشيطان قد اقتفى أثرى لان العقد مغر وسيظهر غدا ليبدأ تدخله . فماذا سيكون رأى شركة التأمين ؟

وهز القديس رأســه وخفض بصره ليخفى نظرته على طريقة الوحش المفترس الذى يخفى مخالبه لكى يتمكن من فريسته . وقال :

— افترض اننا سنجد هذا العقد قبل اخطار شركة التامين فهل يصلح ذلك الامر ؟

— لقد جئت لمقابلتك من أجل ذلك .

— وكيف عرفت بوجودى فى القطار ؟

— لقد لمحتك عند مرورك بالمر منذ قليل . وهدانى الخادم الى عربتك .

واتخذ الجواهرى فجأة مظهرا عدوانيا ووضع يده فى جيبه وانحنى الى الامام قليلا وقال :

— أليست لديك فكرة صغيرة ؟

فأجاب سيمون الذى شحب وجهه فجأة :

— كلا ... ولا أدنى فكرة .

وكانت مارى تراقب الرجلين منزواتها . وقال ميلر متهكما :

— كفى يا قديس . لقد اردت أن تلعب معى الى اقصى حد . فان عقد قيمته مائتا ألف دولار جدير باغرائك رغم امانتك .. هيا .. اعده الى ، وأنا اتعهد ...

وتردد فجأة وارتمى بكل جسمه الى الخلف . وصاح به القديس :

— ماذا حدث يا ميلر :

ولكن الجوهرى لم يجب واضطربت نظراته واعترت حنجرته حشرجة مخيفة فانهار على أرض العربة ولم تتحرك مارى وعبرت عيناه عن الفزع .

وانحنى القديس ووضع يده بين القميص وصدر الرجل الذى ارتسمت على وجهه ابتسامة عجيبة .

ولجلجت مارى : — سيمون هل ..

— بلا شك .

— أهو انسداد فى العروق ؟

ـــ نعم فقد توقف القلب .. ولكن بفعل فاعل .
ـــ ماذا تعنى ؟
ـــ لقد سمم ميلر .
ـــ سم ... اوه ...

وانهارت مارى بدورها ومد سيمون ذراعه بسرعة وامسك بها وطرحها على المقعد ثم فتح باب العربة ورأى احد موظفى القطار يتجول فى الممر فناداه ... ولم يكن هذا الموظف الا سام متخفيا ، ولم يبد سيمون دهشته فقد كان هو الذى طلب من سام ركوب نفس القطار متخفيا وقال له :

ـــ تعال ، فأنا بحاجة اليك .

وجال سام بنظره داخل العربة وقال :

ـــ احسنت يا زعيم .

وتحركت مارى ببطء وقامت واضعة يدها على جبينها ، وانتفضت عندما رأت جثة ميلر الهامدة . وقال سيمون مبتسما :

ـــ سيجدون عما قريب جسد بطل أوليمبى .

وقالت وقد اختلط عليها الامر ، واحمر وجهها :

ـــ اننى اعتذر لك يا عزيزى .

واظهر دهشته ، فشرحت له الامر :

ـــ عندما يصبح الانسان صديقا للقديس فليس له الحق فى أن يدير نظره عندما يرى ضحية قاتل .

وتأملها هو باعجاب .. بينما نظرت هى الى سام ثم التفتت الى القديس قائلة :

ـــ اهنئك يا سيمون .. فها أنا أرى أنك تبر بوعودك بطريقة عجيبة .

وأجاب بسؤال آخر :

ـ من هو ميلر يا ماري ؟
فاجفلت . وبدت القسوة في نظرتها وقالت :
ـ انك تتحدث عن الجثة عندما أسألك عن سام وتقول : انني لم أر هذا الرجل من قبل وكان بوسعه أن يذهب ليموت في مكان آخر .
وهز تمبلار رأسه موافقا :
ـ حقا ان هذا الرجل غير مهذب .. لانه تحول الى جثة تحت بصرنا : ولو بقي حيا لقلت له رأيي ..
وجلس متابعا حديثه : ـ ولكن أين هي الجواهر ؟ لقد حملها أوسكار دول معه أمس ويزعم أنها ملكه ، وأنت تتمنين يا ماري أن تكون هذه الجواهر لك .
ووقف وقال : ـ انني انصحك بالانتقال الى عربة أخرى . وسنترك هذا لميلر وسأخطر رئيس القطار بذلك .
وانتقلت ماري الى العربة المجاورة وهم تمبلار بالابتعاد فلحق به سائق التاكسي المتخفي في ثياب ملاحظ عربات النوم وقال له :
ـ اريد أن أسر اليك أمرا هاما ... يوجد في القطار شخص لا يخطر على بالك .
فقال سيمون بهدوء تام :
ـ مندوزا .
وفغر سام فمه : فكيف أدرك القديس ذلك ؟

الفصل الثامن عشر

اتجه تمبلار الى مؤخرة القطار السريع وكان الليل قد أقبل وسار القديس متمهلا يتوقف من وقت الى آخر ليتأمل المسافرين . وعندما هم باجتياز وصلة تصل عربتين سمع صوتا يناديه .. والتفت خلفه فرى رجلا مجهولا يدعوه الى الجلوس معه ، وعندما أراد سيمون المزاح على طريقته دفعه الرجل الى عربة بعد ان اخرج مسدسه واقفل باب العربة من خلفهما وجلس سيمون يتأمل الرجل وقال له :

— اننى اقدر لك دعوتك لمزاملتك فى هذه العربة .

— لقد انقضى وقت طويل لم يبحث عن مزاملتى أحد .

— لانك اختفيت من المجتمع .

— لم أفهم ماتقصده .

— ان طريقة قص شعرك تدل على ذلك .

— هذا مزاح ثقيل ؟

— من النادر ان يجد انسان شعره على هذا النحو الا اذا كان من فريق كرة السلة بكلية ستانفورد ، الامر الذى لا ينطبق عليك .

— ولكننى لست من خريجى الكليات ..

— نعم ... فأنت خريج كلية سان — كوانتان .

فقال الرجل الذى اتهم بأنه خارج من السجن :

— كفى كذبا وتجريحا .

— ويخالجنى الشعور بأنك ستعود اليه قريبا يا مستر كلارك .

فقال الشقى وقد دهش لان القديس تعرف عليه ـ هل تعرفنى ؟

واستلقى تمبلار على مقعده وهو يتسلى بذهول الرجل وقال :

ـ لقد عرفتك على التو يا كلارك ماذا يدور فى رأسك القذرة .

وبصق كلارك على أرض العربة وأعاد المسدس الى جيبه وأخرج سيجارا محترقا حتى نصفه واشعله ... وقال :

ـ اريد أن احذرك يا قديس .

ـ حقـــا .

ـ نعم . ولعلك تعرف أن هناك عربة ملحقة بهذا القطار .. ولكنك لا تعرف انها مملوءة بالنعوش .. لان هناك من يفضل أن يدفن هنا حتى يتمتعوا برحلة قبل موتهم على نفقة الاسرة .. وهذا أمر طريف .

ـ لا فائدة لى من ذلك يا كلارك . فقد أوضح فى وصيتى أن يحرق جسدى ويحول الى رماد .

ـ حقا .. ولكن قد يحدث لك أن تســـافر فى عربة الموتى يا قديس ... وتلزم بدفع فاتورة دفن الموتى .

واصلح القديس من ربطة عنقه وقال :

ـ لمـــاذا هذا التهديد يا كلارك ؟

فضحك الشقى وقال : ـ حاول أن تكون ذكيا لتفهم وحدك . . والآن الى الهواء . . . فدهش سيمون .. وقال :

ـ أهكذا ... سريعا :

ـ نعم ... فقد انتهى الاستقبال .

ـ خسارة يا كلارك . فلا يمكن الاحتراق هكذا .

وتصور اننى سأقيم قريبا استقبالا على طريقتى ولن أدهش لرؤيتك بين المدعوين .. ستكون ضيفا ممتازا .. وأرجو أن تبذل جهدك لتصل سليما ..

وخرج وهو لا يأبه بالتهديد ، ولكن ما رآه هو المهم .. فهو يمسك بكل الاطراف الان ، فأى رحلة ممتعة .

وعندما وصل الى رئيس القطار رأى سام هناك مرتديا ثياب المفتشين وقد انحنى على الورقة التى قدمها له رئيس القطار .. وعندما رأى القديس اعطاه الورقة وهى كشف بأسماء المسافرين فألقى عليها نظرة وقال :

ـ لقد كنت اشك فى الامر ..

وسأله رئيس القطار : ـ هل انت واثق يا مستر تمبلار بأنه دول ؟

ولم يجب القديس بل ظل واقفا زائغ البصر . وقال سام : ـ لعلك رايت شخصا آخر .

ـ ليس من عادتى ان اخطىء معرفة الناس فى مثل هذه الحالات الا اذا كان له شبيه ..

وقد لمحته عند وصولى الى المحطة وكان يعدو واقبل فى هذه اللحظة حمال أسود وقال وهو يلهث :

ـ سيدى ... هناك ..

وتنفس سيمون الصعداء .. فقد كان هـذا هو ما ينتظره وسأله :

ـ هل رايت جثة ميت ؟

ـ نعم يا سيدى .

ـ هلموا لزيارته ..

وسارت الجماعة الصغيرة خلف الجبال وشـاركهم القطار بصفارته القوية .. وفتح الحمال باب العربة

وأشار الى جثة ملقاة على الارض وقال :
— انني لم المسه ، فقد أخافني .. انظروا الى عينيه.
فازاحه القديس وكان دول راقدا على أرض العربة وفوجىء الجميع بصراخ واعتدل سيمون فى وقفته ، وقد تحقق ظنه .. فقد كانت مارى واقفة تصرخ من الرعب .. ولجلجت :
— سيمون .. عزيزى سيمون .. هذا أمر مفزع..
— هل تعرفت عليه يا مارى .
— انه دول ... قد مات ؟ اليس كذلك ؟
ورفع تمبلار الجثة وارقدها على المقعد وانحنى يسمع ضربات القلب وقال :
— انه لم يمت تماما .... لقد اعطى مخــدرا .. ولا شك ان فى هذا القطار فريقا لا يهتم بالقناة الهضمية للمسافرين .
وأخذ دول يئن انينا خافتا وتقلصت اساريره وانتابته الشهقة وقال الحمال الاسود : — سيتقيأ .
ولفظ سام بألفاظ مبهمة وهو يداعب مسدسه فى جيبه بيده ... فبالقرب منه شخص يستحق القضاء عليه .
وقالت مارى وهى تبذل جهدا لتتمالك نفسها :
— انه يعود الى صوابه .
وفتح دول عينيه وقال بصوت متقطع :
— يا قديس ... لقد سمونى ... سأموت ...
فقال تمبلار بهدوء : — لا أشك فى ذلك .
وعاد دول يقول : — يا قديس ... الجواهر ... لقد اختفت ، سرقوها منى ..
وهذه شكوى أخرى من سرقة الجواهر التى كانت فى حوزته بالامس .

وسأله سيمون : ـــ كيف تجزم بأنها سرقت يا دول ؟

وتقلص فكا دول ، وتمكن من الاعتدال فى مقعده وقال : ـــ أنا واثق ....

ـــ لقد عدت الى صوابك يا دول للتو .. ولم تحاول جس جيوبك لتتأكد من أنها سرقت فكيف عرفت أنها ليست فى مكانها

وساد الصمت .. ووجه سيمون ابتسامة لمارى التى تنفست الصعداء .. وأخذ دول يحاول شرح الامر: ولكننى افترضت ...

ـــ لا تتعب نفسك ، فقد وجدتك فاقد الحس والحركة ولما كانت الجواهر ليست معك الان فلابد من شهادة ..

ـــ اى شهادة ؟

ـــ لابد من اثبات براءتك يا دول حتى تدفع شركة التأمين المبلغ المؤمن به ..

ـــ ماذا تعنى يا قديس ؟

ـــ وسأقول لك فيما بعد .. أما الان فاننى أريد معرفة اسم اللص الذى عهدت اليه بجواهرك . فسيساعدنى ذلك على كشف مرتكب جريمة قتل ..

واتسعت حدقتا دول احتجاجا وقال : ـــ أقسم لك .

ـ لا داعى للقسم الكاذب ..

وهم باستعمال العنف ، ولكنه تمالك نفسه والتفت الى رئيس القطار قائلا :

ـــ أعهد به اليك ... فلا تدعه يتصل بأحد .

وابتعد القديس ، وترددت مارى قليلا ثم تعلقت به لتبقيه فتخلص منها برفق قائلا :

ـــ دعينى أتم مهمتى وستحتفظين من هذه الرحلة بذكرى فريدة ...

فتركته وهى تنظر اليه بحزن ، وهزت كتفيها وهزت راسها الحمراء الشعر وقالت :

ــ كان باستطاعتنا أن نعيش فى سعادة يا سيمون.. ولكن للاسف انك تسبح دائما فى الدماء والجرائم ...

ــ لا تنسى يا حبيبتى مارى ان هذا هو السبب الذى من اجله سعيت الى .

الفصل التاسع عشر

حاول سيمون فتح باب العربة ولكنه كان مغلقا من الداخل فانتزعه بضربة قوية من كتفه وانتفض كلارك وأراد الامساك بمسدسه الموضوع على المقعد ولكن سيمون صاح به آمرا :

ــ دع هذا جانبا يا كلارك .

وتطلع اليه الشرير بحقد وقال له القديس :

ــ جئت لازورك كصديق .

فقال كلارك بلهجة عدائية وهو يقفل يده اليسرى :

ــ الى أى حد تذهب فى صداقتك ؟

ــ جئت لاسدى اك نصيحة غالية ... فحاول الانتفاع بها .

ــ عن أى موضوع ؟

ــ بخصوص الجواهر التى كنت تتأملها باعجاب عند دخولى الآن ..

ــ لقد أسأت اختيار الوقت لحضورك الى هنا يا قديس . وسأضطر للاسف الشديد ..

وسدد قبضته الممسكة بالجواهر بضربة عنيفة كان

يأمل أن يفاجىء بها سيمون ولكن الأخير انحنىفطاشت الضربة وسدد ضربة عنيفة الى ذقن الشقى منـدفعا بكل ثقل جسمه ، فرقد كلارك على المقعد وانقطع نفسه ولكن يده اليسرى لم تتخل عن الجواهر ، وحاول التقاط المسدس الذى وقع تحت قدميه . فقال له القديس :

ـ قلت لك دع هذا المسدس جانبا .

فقال الآخر وهو يرى القديس يستولى على المسدس

ـ لا تطلق النار يا قديس ..

ـ طبعا ... لا

ـ ماذا تريد منى ؟ لم أرتكب شيئا ..

فقال الشقى بحشرجة :

ـ لم ترتكب شيئا يدفع بك الى كلية سان كوانتان؟ الا اذا أغراك الجلوس على المقعد الكهربائى بضع دقائق ..

ـ المقعد الكهربائى : ولكننى لم اقتل احدا .

ـ لعل المحلفين أكثر سهولة فى الاقتناع .. اما أنا فأدينك ..

ـ انك تكذب ..

وجلس القديس على المقعد المواجه له وعاد بذاكرته الى نيويورك . الى الفستان المطرز بالذهب وقال :

ـ عندما اشتركت معميلر فى سجن سان ـ كونتان كان اسمه المقيد فى سجلات السجن : ليوبورجيس .

ـ وكيف عرفت ؟

ـ عندما يقدم انسان نفسه على أنه تاجر جواهر فان يديه تحمل اثر ذلك مثل الخائطة التى تحمل يداها ثقوب الابر .. ولكن يدا ميلر كانت مشوهة مثل يديك

من اثـــر العمل فى ورشـــة السجن .. نفس السجن يا كلارك ..

ــ نعم . .كان هو بورجيس .. وقـــد التقينا فى الكلية الــكبيرة وقد دبرنا الأمر معـــا .. وشرح لى الطريقة وهى الاستيلاء على الجواهر وتغيير شكلهـــا فى امريكا الجنوبية .. انك تعرف كل شىء ياقديس .

ــ وماذا عن دول ؟ لقد اغراه بيض الحمام،وأراد الاستيلاء على الجواهر وحاول أن يتخذنى شاهدا .. قبل سرقة الجواهر لحسابه الخاص ..

ــ لقد كانت ملكا له .

ــ هذا خطأ يا كلارك . . كانت ملكا للمحل الذى يعمل لحسابه لا ملكا له ، لقد دبر دول حادث الهجوم عليه وتخديره وسلبه الجواهر .. وبعـــد أيام يعود شريكه حاملا له الجواهر فى حين يتقاضى هو مكافأة على بسالته فيعيش حياته سعيدا بالمكافأة ، وقيمـــة بوليصة التأمين . ما رأيك يا كلارك فى هذا العرض ؟ ان الحياة فى مسقط رأسه افضـــل من المعيشة فى امريكا الجنوبية ...

وهز الشقى رأسه فغاصت بين كتفيه كالثور الذى يستثيرونه فيستعد للهجوم .. وقال :

ــ من يكون الشريك ؟ اهو بورجيس ؟

ــ كنت أظنك أكثر ذكاء .. تطلع الى خيـــالك فى المـــرآة واذا لم يكف ذلك فاستشر طبيبا للعيـــون ..

وتبدل صوت القـــديس .. وأصبح اكثر خشونة وقال :

ــ لقد احترق بورجيس .. ولم يفدك موته بشىء . اعطنى الجواهر وأتعهد بردها لأصحابها الشرعيين .

وتطلع كلارك الى سيمون — ولاح أنه قبل الاستسلام ورفع يده التى تقبض على الجواهر وهم سيمون بأخذها عندما ارتفع صوت يقول :

— توقف ..

وشعر القديس براحة نفسية فقد وجد ماكان يبحث عنه . وقال الصوت الذى ظل مختفيا :

— هذه الجواهر ليست لك يا قديس .

وكأنه كان يتكلم من السقف عن طريق مكبر للصوت وابتسم سيمون .. وقال الصوت :

— لقد خسرت يا قديس .. وأنت يا كلارك ضع الجواهر على المقعد .. اسرع فأننى على عجل . ولا ينسى كلاكما أننى مسلح — وقدير على اصابة الهدف ..

فقال سيمون : هذا أمر معروف منذ زمن ..

— اصمت يا قديس .. وانتهز الثوانى الأخيرة الباقية لك ..

ولم يكف سيمون عن الابتسام وقال :

— ارنا شخصك يا مندوزا ..

وساد صمت قصير ثم عاد الصوت يقول بلهجة مختلفة :

— هذه جراة منك ، ولكنك لن تسعد بهذا الكشف وقتا طويلا ..

— اخرج من الشبكة .. فان بى شوقا لرؤيتك .

وبعد تردد قليل صاح مندوزا :

— أدر ظهرك يا قديس ، وضع يديك على رأسك .. وأنت أيضا يا كلارك :

وسمعت حركة خفيفة كقفزة القط — ولم يتحرك

القديس بل ظل هادئا بعكس كلارك الذى أصبح متوترا .
وقام سيمون بنصف دورة فراى وجه القزم ساخرا .
وقال الأخير :

— لم تبق لك يا قديس الا بضع ثوان تتمتع فيها بالحياة وسأقتلك بعدها .. ولا تقلق فسأفسر الأمر على اننى قتلك كلارك فى اللحظة التى قتلك فيها .. أنت يا مستر سيمون تمبلار الشهير بالقديس .. لخطة أن قتلك وهم بالقائك على الطريق .. وبذلك أتجنب المخاطرة بل اننى سأتلقى التهنئة .. لا تتحرك ياكلارك
وكان يرقص مغتبطا .. وأضاف :

— انها ثروة صغيرة لا بأس بها يا قديس .. بفضل النقود المزيفة التى صنعها صديقاى سبيلى وهاتلى .. وجواهر أختى العزيزة .. والآن : هذا العقد الجميل .
وهز العقد فى يده وأحنى سيمون رأسه وقال :

— حقا انك لعبت دورك بمهارة فائقة يا مندوزا .. وقد استغرقت بعض الوقت لادرك أنك أنت الأرملة السوداء ..
واضطرب القزم لحظة ، ولكنه تمالك نفسه على الفور وضحك ساخرا وقال بصوت متغير ، ممسوخ هو صوت الأرمل السوداء :
— « لقد أنذرتك يا قديس .. كان ذلك هو آخر تحذير منى .. كم ضحكت ؟
ثم عاد الى لهجته الطبيعية فجأة وقال بقلق :
— كيف عرفت ؟ من قال لك ؟
فطمأنه القديس باشارة قائلا :
— الكابتن ريد جفيلد .. لقد وضح لى كل شىء يا مندوزا — عندما علمت أنك كنت تشترك متنكرا

فى رقصة شقيقتك من قبل .. وعلمت انك كنت تتكلم من بطنك .. وقد ضحكت انا ايضا ..

ولم أكن انا وحدى الذى ضحك .. فقد ضحك سام سائقى أيضا .. وهو معنا فى هذا القطار يا مندوزا .

ــ تبا له ..

ولم يكمل عبارته فبينما كان مشغولا بالحديث مع سيمون تحول نظره عن كلارك فتدحرج هذا الأخير كالحيوان المفترس الذى قرر النجاة بحياته المهددة بالخطر . ودوى طلق نارى فقد استطاع مندوزا السيطرة على الموقف ولكن سيمون ضرب بقدمه قبضة الوحش الصغير فى اللحظة التى أدار فيها المسدس صوبه فطار فى الهواء . وصرخ مندوزا ، وكان القديس قد أمسك بخناقه وتصارع القزم وعبر وجهه المتشنج عن الغضب الشديد واحمر خداه ، وانسابت الشتائم من فمه وضرب سيمون بقبضته النحيلتين وراح الأخير يضحك ساخرا وهو يقول :

ــ هذا العنكبوت القبيح الذى أراد ان يقوم بدور الذئب الشرير .

ــ كفى يا قديس .. سأقتلك .. سأقتلك ..

وحاول بيديه المتشنجتين ان يجرحه بأظافره وأن يفقأ عينى القديس وكان يتلوى بطريقة جعلته يفلت من قبضة تمبلار ، وانحنى متسللا من بين ساقى المغامر .

وخرج من الباب وهو يطلق ضحكة شيطانية وجرى سيمون خلفه ولكن قدميه تعثرتا بجثة كلارك وعندما اعتدل ليواصل مطاردته كان مندوزا قد اختفى حاملا معه العقد .

وهز القديس راسه وابتسم ابتسامة غامضة وتابع

طـريقه فالتقى بسام الذى كان يبحث عنـه فسأله بخشونة :

ــ ماذا تفعل هنا ؟ لقد عهدت اليك بـ « دول » فلماذا غادرت عربته ؟

فاحنى سام رأسه وقال :

ــ لقد اختلط الأمر.فلما لم أسمع أى صوت فتحت الباب وكان دول راقدا على جنبه وعلا الزبد جوانب شفتيه وفتحت الباب . ووقفت أمامه ولم أر أحد يدخل .

ــ لا تجهد فكرك ..

واتجه الى عربته ولحق بهما رئيس القطار وسأل :

ــ هـل يجب أن يـنزل الركاب بالترتيب حتى تستعرضهم يا مستر تمبلار ؟

فقال سيمون : لا داعى لذلك .

فلمس سام ذراعه وقال بحياء : والجواهر ؟

ــ لقد تبخرت يا صديق .. ولكننى سأجدها .

وأدار له ظهره .. وانتهت الرحلة دون اى حادث وذاع الخبر فى اليوم التالى أن مندوزا وجد ميتا على الطريق : لقد لاقى حتفه على الفور .. اما الجواهر. فقد اختفت ..

الفصـل العشرون

.. كان الطقس بديعا ، والأمواج الهادئة تتـلاطم على بلاج سانتا ــ بربارا ، على الباسفيك .

وكانت درجة الحرارة معتدلة والنسيم العليل يهب برفق على أشجار الجوز الطويلة المزروعة على شاطىء البحر مداعبا أوراقها .

ولم تـــكن هناك الا جماعات قليلة متبـــاعدة من المستحمين .

وتمدد جسمان فى مكان نائى على الرمال الذهبيـــة اللون .. وكان جسم الرجل بلون البرونز .. عريض الصدر والمنكبين كأنه من أبطال المصـــارعة .. وكان جسم المرأة فاتنا جذابا . وبظهر فتنته المايوه البكينى ويزيد من بهائه ذلك الشعر الأحمر الذى قل أن تصادف مثيـــله ..

وسألها سيمون : هل انت بخير يا مارى ؟

ــ على غاية من الاستجمام يا حبيبى سيمون .

ــ لعلك قد نسيت قليلا تلك الذكريات .

ــ هذا بفضلك ..

وتأملها ، وأخـــذ يداعب العقـــد الذى يحيط بعنقها ويتحسس حباته الخشبية الكبيرة ويضرب بها صدرها الناعم البشرة واقشعرت قليلا .. وتمتم هو :

ــ انك تحلمين بعقد آخر اكثر جمالا ..

فقالت مبتسمة : هذا العقد لا قيمة له .

واسترخى هو متأملا سحابة فى الفضاء البعيد ، وقالت :

ــ كان عقدا جميلا حقا ..

ــ ماذا كان مصيره ؟

فالتفتت اليه وقالت : لقد أخذه التعيس معه عند هربه ولم يجده أحـــد .

ــ لعل نابش الجثث قد وجده . وقد لاقى خالك مصيرا غريبا يا مارى . وكانت علاقاتكما قد انقطعت وتباعدتما حتى كانت تلك الحفلة التى اقمتها فىنيويورك والتى قربته منك ثانيا .. وجعلته يلفظ أنفاسه على الطريق العام .

ـــ انه مصير شنيع حقا ياسيمون ولم يكن مندوزا رجلا ثريا . وقد وضح لى فى الأيام الأخيرة انه كان يحبنى .. على طريقته طبعا ، ولكنه كان يحبنى .

ـــ هذا هو رأيى .. ومن ذا الذى لا يحبك ؟

وبدا جمالها زائفا وهى متكئة على كوعها وسألته :

ـــ كيف ادركت الامر يا سيمون ؟

ـــ اى أمر ؟ اتعنين دور مندوزا ؟ لم يعد امر صعبا منذ اللحظة التى لم يعلق فيها اسم الأرملة السوداء فى ذهنى وهو الاسم الذى اطلقه الخصم على نفسه .

وابتسم ومد يده الى الحقيبة التى كانت بقربهما وأخرج منهاسيجارة وأشعلها ووضعها بين شفتى رفيقته الجميلتين الحمراوين وتابع حديثه قائلا :

ـــ ولقد جاء وقت ظننت فيه أن الأرملة السوداء هى مسز جيلبرت العزيزة .. ولكن هذا الظن لم يكن مرجحا حتى كان اليوم الذى زرت فيه الكابتن ريد جفيلد .

ونمت عينا مارى عن الدهشة وأشعل هو سيجارة اخرى لنفسه .. وواصل حديثه :

ـــ وهنـــاك رأيت صورة مندوزا مع مايك ومسز جيلبرت .. وكانت تمثله فى ثياب فتاة صغيرة .

ودخن سيمون نفسا عميقا من سيجارته ، وابتلعه ببطء ثم قال :

ـــ وقال ريد جفيلد لسام أن مندوزا كانت له القدرة على الكلام من بطنه .. هل بدأت الحقائق تتضح امامك .. ؟

ـــ نعم .. انها تتضح تدريجيا ..

ـــ ومنذ تلك اللحظة فهمت ان الارملة السوداء هى

ـــ نعم ، كان ينبغى أن يسمى نفسه الرجل القصير الأسمر ..

ـــ الا اذا كانت الأرملة السوداء موجودة حقا .

وارتعدت المرأة الشابة وانحنت على سيمون ، وشبكت يديها تحت عنقها وراحت تتأمل سماء كاليفورنيا الصافية : والسحابة الصغيرة التى كانت تتحرك ببطء يدفعها النسيم الخفيف ، وقالت :

ـــ ماذا تعنى يا سيمون ؟

ـــ لا شيء يغيب عن عقلك يا حبيبتى مارى . لقد كان مندوزا يعمل بأمر شخص آخر .

ـــ والنتيجة ؟

ـــ لم تنته المعركة بعد .

ـــ ظننت اننى رأيت « دول » .

فأدار رأسه قليلا وحدق فى وجهها الجميل المكلل باللون الأحمر وابتسم لها قائلا :

ـــ قطعا ، يا مارى فعندما أفلت مندوزا منى فى القطار لم أكلف نفسى عناء البحث عنه لأننى كنت أعلم انه اتجه للاختفاء عند رئيسه .. وكان الأخير فى نفس القطار السريع الذى يقلنا جميعا .

وفغرت . مارى فمها تعبيرا عن الدهشة وتساءلت :

ـــ هل هذا جائز يا سيمون ؟ عند رئيسه ..

ـــ نعم ـــ وقد القاه هذا الرئيس على الطريق ..

ورفعت يديها الى وجهها ، وأغمضت عينيها بحركة ارتياع ، وتابع هو حديثه :

ـــ ومن الطبيعى أنه أخذ العقد من مندوزا وهذا يفسر عدم العثور على الجواهر .

وازاحت يـديها بطء وأبانت عينيهـا الخضراوين ولجلجت :

ــ وهل تعرف يا سيمون اسم هذا الرئيس ؟

ــ نعم ...

ــ من هو .؟

ــ هو الأرملة السوداء . العنكبوت السامة التى دائما تبحث عن ضحايا وفرائس جديدة وهى وحـدها التى استطاعت قتل نورما المسكينة ودس السم لدول تحت بصرى .. انها أنت يا مارى .

وانحنت الى الأمام قليلا وقالت :

ــ انك فائق الذكاء ، يا عزيزى سيمون .

ــ اليس كذلك ؟

ــ كيف عرفت ذلك ؟ .

ــ كما كشفت أمر مندوزا : كان يكفى أن أقنعنفسى بأن الأرملة السوداء يمكن أن تكون حمـراء .. وأن المايوه البيكينى يناسب جسمها ..

ــ آه : يا حبيبى سيمون .. كم أنا بائسة .

ــ لا ينبغى يا حبيبتى .

ــ بل أنا يائسة لأننى سأضطر الى قتلك .

وبحركة خفية امتدت يدها الى حقيبة الحماموتناولت مسدسا ، أحس القديس بلمسته البارزة على خاصرته وقال سيمون بهدوء : يا للمصيبة .

ــ لا تتغطرس : سوف آسف عليك ، فقـد كان بوسعنا أن نعيش فى سعادة تامة : الا تريد ؟

فسألها بعدم اكتراث : وممم نعيش ؟ من ثمن بيع الجواهر ؟ تلك التى تحملينها حول عنقك ؟

ــ هذه جواهر خشبية ..

ـــ هل فاتك أن حبات عقدك قد أفرغت وملئت كل منها ببيضة المحار .. انك كثير الذكاء . .

ـــ أنت أيضا يا مارى ..

وقست العينان الخضراء وزاد ضغط المسدس على خصر سيمون . وشكل فم المرأة الشابة كلمة «الوداع» وهمت بالضغط على الزناد : ونظر اليها سيمون مبتسما وضغطت الزناد مرة واثنتين وثـــلاثة .. وفى كل مرة كانت تسمع فيها تكة ، ولم يتحرك سيمون ولم يكفعن الابتســـام .

وبدا الذهول على وجهمارى وسرعانارتسمالغضب الشديد على أساريرها وتقلصت شفتاها فأزالت عنها مظهرها الجميل .

وقال سيمون عاتبا :

ـــ هل تظنينى غبيا يامارى الى حد أن أترك معك مسدسك محشوا بعد أن كشفت عنك القناع ؟

وقام ونزع العقد عن عنقها بأحدى يديه بينما امسك قبضتيها بالأخرى .

وثار غضبها وأخذت تتصارع محاولة عضه .. فقال لهـــا :

ـــ لا فائدة يا حبيبتى مارى . لقد انقضى وقتك ــ ودانت نهايتك وعما قريب ستجلس الأرملة السوداء على المقعد الكهربائى .

وتمالكت نفسها فجأة ، وتوسلت اليه بعينيها وقالت

ـــ اذا أردت يا سيمون ..

ـــ لا أريـــد شيئا .. لأن على أن أجرى مكالمـــة تليفونيـــة .

ــ ألو باريس .. ؟ أخيرا يابات .. أوه ..يافتاتى الصغيرة ..

أننى مغتبط جدا لسماع صوتك : متى تعودين ؟غدا هل ستستقلين الطائرة الآن ، وأنا أيضا .. نعم سأقص عليك .. أننى فى كاليفورنيا وسأصل فى نفس الوقت ، مثلك ، الى نيويورك .. هل كنت بمفردى ؟ انك تعرفين اننى أظل وحيدا دائما ما دمت بعيدا عنك الى الغد يا بات ..

((تمت))

رقم الايداع بدار الكتب
٤٦٥٩ / ١٩٧١

مطابع الأهـرام التجارية